



مكتب رئيس الديوان

الموسوعة الإسلامية

(٥٣)

جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ

دِيَوَانُ الْوَقْفِ السُّنِّيِّ

الْهَيْئَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْأَسْتِشَارِيَّةُ

الحسين... ثائراً

بقلم

العلامة الأستاذ

الدكتور عبداللطيف الهميم

٢٠١٩ م

١٤٤٠ هـ

الطبعة الثانية



مكتب رئيس الديوان

الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

برقم ٥٩٧

لسنة ٢٠١٩

جميع مطبوعاتنا محكمة علمياً

البراق - بغداد - سبيل - ديوان الوقف السني

Email: mabdeu_1@yahoo.com

صندوق البريد - ٥٢٠٠٨ باب السلام

٩٥٣/٠٢

هـ ٥٤٥

الهميم، عبداللطيف

الحسين... نائراً. - بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠١٩.

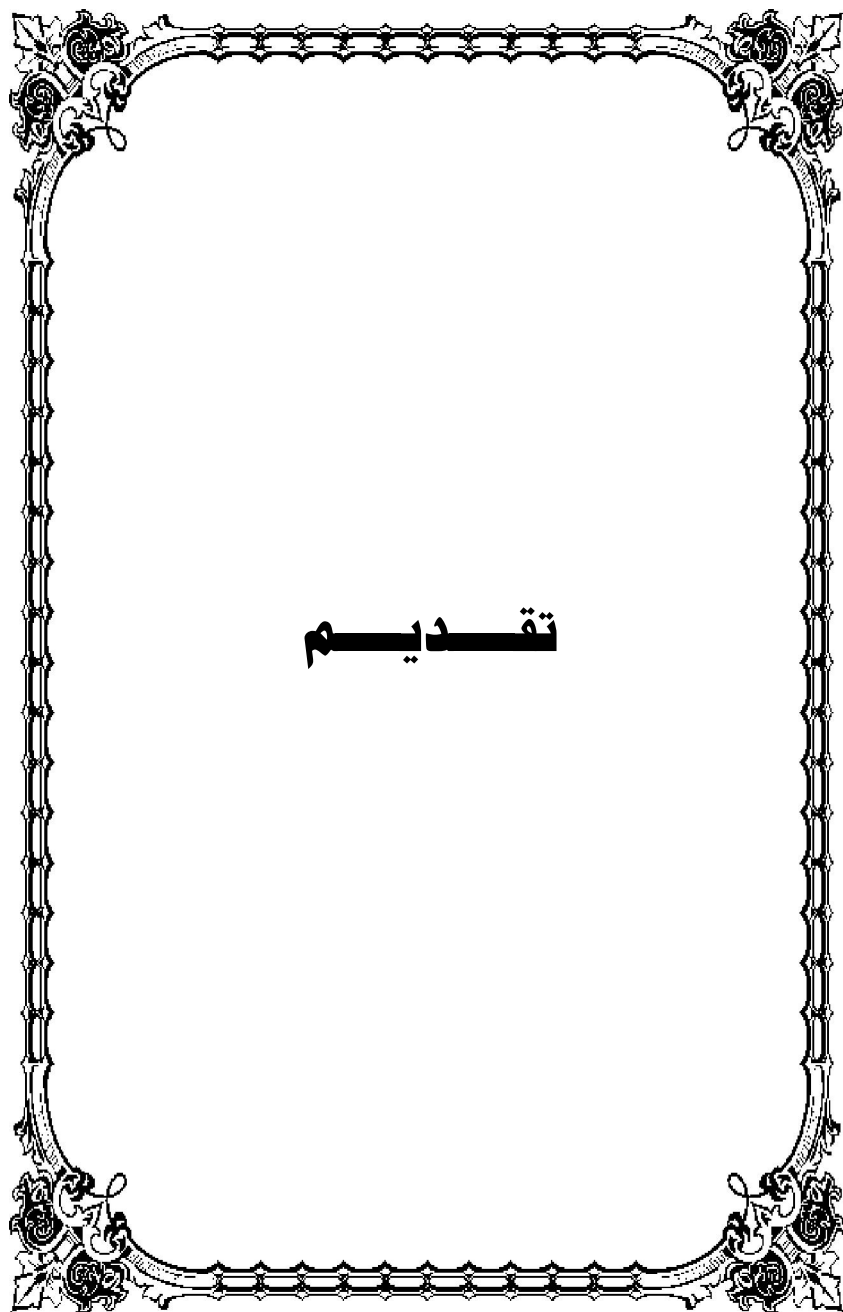
٢٦٨ ص، ١٥ سم (الموسوعة الإسلامية، ٥٣)

١. الاسلام - تاريخ. ٢. الاسلام - تراجم. أ- العنوان.

ب- السلسلة.

جميع الآراء التي في هذا المطبوع تمثل رأي كاتبها وهي لا تعبر بالضرورة عن رأي الديوان

حقوق الطبع محفوظة للديوان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

يتناول هذا النص الذي بين يدي القارئ الكريم موضوعاً معركة الطف وما يمكن أن نستخلص منها من قيم أخلاقية واجتماعية وسياسية، يمكن اعتبارها رافداً مهماً من روافد الثقافة الإسلامية، لما تتمتع به شخصية النص المحورية ((سيدنا الحسين عليه السلام)) من أهميته في التاريخ الإسلامي، كونه تربي في بيت النبوة، وأحد الذين نهلوا الفكر الإسلامي من صدر ينابيعه، فجده الرسول الكريم محمد ﷺ، وابوه سيدنا علي

ابن أبي طالب عليه السلام، أمه فُرّة عين الرسول ﷺ فاطمة الزهراء البتول.

وسيجد القارئ الكريم، والناقد الأدبي فيه على وجه الخصوص، أن النص يتخذ قالباً غير مألوف في الأعمال الدرامية المقروءة، وأنه يعتمد في كثير من مفاصله على الأسلوب اللغوي التقريري، مما يُصعّد إلى ذهنه أسئلة كثيرة قد تعيق تلقي النص، وهذا التقديم ليس محاولة لتبرير الأفكار التي دفعت إلى كتابة النص بهذا القالب الجديد وهذا الأسلوب، وإنما لمجرد عرضها على القارئ والناقد، لكي لا يكون الجديد، الذي عادة ما يجافيه الانطباع الأول، فيكون سبباً في العزوف عن إكمال استلام الرسالة التي يحويها النص، وهو ما يتناقض أساساً مع الغاية التي من أجلها تم إسباغ النص الجديد الذي تمت صياغته به، كما سنرى لاحقاً، وللناقد الكريم تقييم الدوافع التي دفعت إلى ذلك.

أما بالنسبة إلى القالب غير المؤلف، فقد تم بناء النص على وفق طريقة (السيناريو الأدبي)، وهو ما يكتب لكي يكون أساساً يُبنى عليه الشكل النهائي للبناء الدرامي في الأعمال الدرامية (السّمعمريّة، أفلام سينمائية، ودراما تلفزيونية)، فجاء النص على شكل مشاهد منفصلة تتابع موضحة الأحداث، وفقاً لتسلسل تفرضه ضرورة إيصال الأفكار والمعلومات والأحاسيس إلى المتلقي، تمكن النص من تجاوز التسلسل الزمني للأحداث، إذا ما تطلب الأمر ذلك.

وقد تم اختيار هذا القالب؛ لأن القوالب التقليدية للدراما المقروءة (قصة، مسرحية، رواية)، اصغر من أن تحيط بسعة وعظم وأهمية الموضوع - مهما تم توسيعها -، إذ إن للموضوع، لكي يقف المتلقي على قراءة صحيحة للأحداث، جذوراً متشابكة وامتدادات طويلة، ولغرض الكشف عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي شكل هذه الأحداث،

وللإطاحة بالتأثير المتبادل لهذه العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي من خلالها تكونت أحداث واقعة الطف ونهايتها المساوية، لابد من تناول هذه الجذور وهذه الامتدادات، بأزمانها المترابكة، وشخصياتها المتعددة، وإلا سيقع النص في مخالفة المُسلَّمة التي وقعت في مخالفتها معظم الأعمال الدرامية، التي اتخذت من القوالب التقليدية للدراما المقروءة وسائل لتناول هذا الموضوع، ألا وهي أن اجتزاء الأحداث من مسرحها لا يعطي المتلقي التصور الصادق أو المنطقي لنتائجها، أو أنه سيكون كما هي بقية الأعمال الدرامية التي ظهرت بمستوى فنيٍّ جيدٍ ذي قيم محدودة أو بسيطة قياساً يغني الموضوع وأحداثه، وإذا ما حاول النص طرح الشيم التي تليق بحجم الأحداث وعظم أهمية الموضوع، فإنه سيحتاج إلى مئات الصفحات، الأمر الذي لا يتطابق مع ميول ورغبات متلقي الدراما المقروءة اليوم، فلا وجود لقارئ يرغب في قراءة الأعمال الدرامية المقروءة المطوّلة، وتلك حقيقة لا تحتاج لمناقشة.

وعليه فإن اختيار هذا التكنيك في الكتابة لمثل هذا الموضوع، إنما لإعطاء النص القدرة على لمّ الأحداث وجذورها التي شكلتها وامتداداتها الواسعة، مع القدرة على التوغل في لجّهِ العميق، فجاء كثير الثيم وعميقها، في حوالي (٢٠٠) صفحة، دون أن يؤثر ذلك على استلام المتلقي لهذه الثيم، من تشويش وإيهام يفرضها تراكب أزمان الأحداث، والتنقل بين شخصياته الكثيرة، وتعدد الأحداث بالأهداف التي يراد الوصول إليها، وإيصالها إلى المتلقي، هذه المواصفات التي منحها للنص هذا التكنيك، كان من الممكن ألاّ يتمتع بها، مع المحافظة على الوضوح ويسر استلام المتلقي للثيم الكثيرة والعميقة، بنفس عدد الصفحات، لو تم اختيار تكنيك غيره.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، لتأمل في الثيمة التالية، التي كانت واحدة من الثيم التي احتواها النص.

((إن التحرر من الظلم من قبل المحرومين، ليس بدافع

الحقد الطبقي المولّد لحسدهم لنعمة التي يتمتع بها المترفون، ذلك الدافع الذي رُدّت به النظرية الماركسية، من قبل مناهضيها، بل إن دوافعه عند المسلمين هو تحقيق العدل والإنصاف وإحقاق الحق لبناء مجتمع سليم في دولة سليمة، لا دولة لا تهتم إلا بمن يواليها وتترك بقية المجتمع فريسة للفقر)).

هذه الثيمة الكبيرة والعميقة - وهي واحدة من ثيم النص الرئيسة، وليست الوحيدة - كانت من تستلم، بهذا الوضوح واليسر، من قبل المتلقي، لو لم يتم استخدام التكنيك الذي اعتمده النص، أو على الأقل كانت ستحتاج هذه الثيمة لوحدها صفحات كثيرة ومطولة، ليتمكن المبدع من إيصالها إلى المتلقي، لو أنه تم استخدام قالبٍ آخرٍ من القوالب الدرامية التقليدية.

وأما بالنسبة إلى استخدام الأسلوب اللغوي التقريري، وهو ما يُنكر على الأعمال الأدبية، خصوصاً مت جاء منه في مفاصل عُنونت بـ(تعليق)، وصلت إلى حد الاستنتاجات العلمية

للأحداث المستدل عنها عبر الأحداث، فلم نكن السابقين في تجاوز الأساليب المعهودة في السبك، فقد تجاوزها كثير من المدارس الحديثة، ولعل فيما ذهب إليه الكاتب الأمريكي المعروف (يوجين يونسكو) في ضرورة إضفاء التلقائية على شخصياته، عبر الحوار غير المسبوك، أبرز مثال.

ويعود سبب استخدامنا لهذا الأسلوب إلى تدعيم أحد الأسباب التي أدت إلى اتخاذ السيناريو الأدبي قالباً للنص، ألا وهو سهولة ويسر استلام رسالة النص، الذي يضم موضوعاً عظيماً ومهماً في تاريخنا، يحتوي (ثيم) أهدافاً كثيرة، أثر أن لا يغادر صغيرها مثلاً لا يغادر كبيرها، بأقل ما يمكن من الصفحات.

وفما يتعلق بالفواصل التي عنونت بـ(تعليق) فإنها وضعت لتعزيز الرسالة، دون أن تكون مؤثرة في البناء الدرامي، فقد جاءت كما يأتي مونولوج شخصية (الراوي) أو ديالوجه مع

الجمهور في البناء الدرامي المسرحي، أو كما يأتي سرد المعلومات الضرورية للبناء الدرامي في القصة أو الرواية، أو مثلما تفعل شخصية (المعلم) الشارح للأحداث والموضح للعبر والأفكار والمعلومات، وهو ما شاع وتوسع استخدامه في الدراما اللا أرسطوطاليسية.

وخلاصة القول، أو ثيمة هذا التقديم، هي أن على المبدع أن يختار التكنيك والأسلوب اللغوي، الذي يوفر متطلبات العمل الفني أو الأدبي، ويلبي احتياجاته، وتحقيق أهدافه، ولو تطلب ذلك تجاوزاً للقوالب التقليدية، على أن يبقى مراعيّاً للقواعد الجمالية، لأن في عدم مراعاتها يخسر كل شيء، فبعزوف المتلقي عن متابعة النص إلى آخره، لفجوة جمالية، لا يمكنه تحقيق أي شيء.

لماذا يرى خروج أديب الدول المتقدمة تكنولوجياً، عن المؤلف من القوالب التقليدية، ضرباً من الإبداع، يُعكف على

دراسته، ويذهب النقاد إلى جعله مذهباً فنياً جديداً، بينما يرى ذلك من أديب الدول النامية، علة تنزر من قيمة العمل الفنية؟!!!.

ونسأل الله التوفيق لكل من سعى للخير وقدمه إلى الناس.

مراجع اعتمدت في كتابة النص:

- الفتنة الكبرى، طه حسين، ج ١، ج ٢، دار المعارف مصر.
- سيد شباب أهل الجنة، حسين محمود يوسف، دار الشعب ١٩٨٨.

- سيدنا الحسين ﷺ، محمد محمود عبد العليم، القاهرة.
- السيدة زينب الطاهرة، محمد محمود عبد العليم، ط ١٠.
- الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، محمد رضا، دار الغد الجديد.

- دم الحسين، إبراهيم عيسى، مكتبة مدبولي.
- مقتل الحسين (أبي مخنف) انتشارات الرضى.

- الحسين أبو الشهداء، عباس محمود العقاد، دار الشعب.
- مبعث النور، عباس محمود العقاد، كتاب الهلال.
- أصحاب النبي من المهاجرين والأنصار، عبدالمعز قطاب، دار الزهراء.

بعض الشخصيات الواردة في النص:

جرير بن عبدالله البجلي: أحد أصحاب النبي ﷺ.

شمر بن ذي الجوشن الطباي: اسمه شر حبيل بن عمرو بن معاوية من آل الوحيد، كان أبرص كره المنظر قبيح الصورة، وكان يصطنع المذهب الخارجي ليجعله حجة يحارب بها علياً وأبنائه.

سعيد بن العاص: فتى من فتيان بني أمية، معتدل مستقيم الخلق، أبلى فأحسن البلاء في فتح الشام، وقد كان عثمان رضي الله عنه يربيته ويرعاه قبل أن يستخلف.

وليّ الكوفة مصمماً على أن يصلح ما أفسده الوليد، حتى

زعم بعض القصاص أنه غسل المنبر تحرجاً من آثام الوليد.
أصحاب السابقة: هم السادة الذين سبقوا إلى الفتح
واستقروا الكوفة حين مصّرت، وفيهم الشريف الذي كانت له
الرياسة في قومه، ومنهم القارئ الذي كانت له المكانة الدينية
لاتصاله بالنبي ﷺ أو بأصحابه رضي الله عنه، وقد أخذ الموت ينتقص
منهم في الحرب والسلام جميعاً.

بريد بن حضير: كان من أكابر القرّاء، وهو سيدهم في
عصره، ومن أصحاب الحسين الذين وطّدوا العزم على الموت
دونه، حتى كان ينطلي بالنورة استعداداً للشهادة، وكان يمازح
الصحابة ويقول: والله لقد علم قومي أني ما أحببت الباطل شاباً
ولا كهلاً، ولكن والله إنني لمستبشر بما نحن لا قون.

حبیب بن ظاهر: ممن كاتبوا الحسين من أهل الكوفة،
يدعونه للقدوم عليهم ويقول له: لعل الله يجمعنا بك على الحق.
نافع بن هلال: أحد الأربعة الذي خرجوا من الكوفة، مع

الطرماح بن عدي لمقابلة الحسين، وحاول الحرُّ منعهم فلم
يقدر، وقد صاحب الحسين إلى كربلاء، وكان حامل لواء الجماعة
التي بعث بها الحسين في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً لإحضار
المياه.

الفتيان: ابنا عم سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد
بن سريع، وهما ابنا عم وأخوان لأم، وقد دفعت بهما النخوة إلى
الانطواء تحت لواء الحسين.

عابس بن أبي شعيب: كان ممن عاهدوا مسلم بن عقيل على
أن يضرب بسيفه دون الحسين وأهل بيته حتى يلقي الله، لا يريد
بذلك سوى وجهه.

أبو الشعثاء الكندي: كان قد خرج مع عمر بن سعد لمحاربة
الحسين، فلما سمع ما قاله، وعلم برفض ابن زياد لما عرضه من
خصال، وضح له الحق، فانضم إلى الحسين وجثا بين يديه،
وكان من امهر الرماة.

علي الأكبر: ابن الحسين، وأمه ليلي ابنه أبي مرة الثقفي.
النعمان بن بشير: كان والياً للكوفة، وكان عثمانى الهوى،
ولاه معاوية الكوفة، وأمره يزيد وكان حلياً ناسكاً يحب العافية.
ذو الجناحين: جعفر بن أبي طالب عليه السلام، الشهيد الطيار،
شقيق علي بن أبي طالب، قتلته الروم في معركة مؤتة، وسمي
بذي الجناحين لحديث النبي ﷺ: ((إن المرء كثيرٌ بأخيه وابن
عمه، ألا إن جعفرًا قد استشهد، وقد جعل الله له جناحين يطير
بهما في الجنة)).

عبدالله بن مطيع: من خيرة رجال قريش شجاعةً ونجدةً
وجلداً، وكان أمير أهل المدينة من قريش في وقعة الحرّة.
أبو موسى الأشعري: هو عبدالله بن قيس من اليمن، كان من
قراء القرآن المشهود لهم بحلاوة الصوت، وكان فارساً أيضاً، ناب
عن علي في قضية التحكيم، وكان يوصي ألا يفتي الإنسان بدون
علم، ويوصي القاضي ألا يحكم إلا إذا تبين له الحق.

المغيرة بن شعبة: كان من كتاب الوحي، ومن أعظم
الفرسان، وكانوا يسمونه (الداهية الأعور)، لأنه فقد إحدى
عينيه في معركة اليرموك.

منظر

مقدمة

سعيد بن العاص يتولى الكوفة

- سعيد بن العاص يذهب إلى الكوفة مصمماً على أن يصلح ما افسد الوليد.
- سعيد بن العاص يغسل المنبر تخرجاً من آثام الوليد.
- بعض القرشيين يأخذون على سعيد ذلك الوقف.
- أهل الكوفة يحسنون استقبال سعيد بن العاص.
- سعيد بن العاص يحسن سياسة أهل الكوفة أول الأمر.
- سعيد بن العاص يدرس شؤون الكوفة، ويختار سماره وذي خاصته من بين السادة والقراء الذين أغضبهم الوليد.
- سعيد بن العاص بعد إقامة قصيرة في الكوفة، تتضح حقيقة الأمور فينبئ بها عثمان.
- سعيد بن العاص يكتب إلى عثمان رضي الله عنه تصويراً دقيقاً لأحوال الكوفة ولحال غيره من الأمصار كذلك.
- سعيد بن العاص يرى أن الكوفة إنما تتعرض للفتنة لسببين:

أحدهما تضاؤل أصحاب السابقة الذين سبقوا إلى الدخول
في الإسلام: وضعف أمرهم بمرور الزمن.

والآخر: تزايد الطارئین والناشئين جميعاً، فما أكثر الذين
كانوا يطرؤون على المصر (الكوفة) من هؤلاء الأعراب الذين
يقبلون من تلقاء أنفسهم، أو يرسلهم الخليفة مادة للجند، وما
أكثر الطارئین من هؤلاء الأسرى الذين كان الفاتحون يأخذونهم
في المواقع ويقسمونهم بينهم مع الغنيمة، ويعودون معهم إلى
المصر من الحرائر وأمّهات الأولاد. ثم الذين كانوا يولدون من
أبناء الأحرار غير العرب، ومن أبناء العبيد، وكل هذه الناشئة
قد أخذت تنمو ويظهر أمرها ويكون لها أثرها في حياة المصر.

- الطارئون من الأعراب، والطارئون من الأعاجم،
والناشئون من أولئك وهؤلاء كثروا في المصر، حتى
زحموا أهل السابقة وكادوا يستأثرون دونهم بالأمر.
- هؤلاء أغلبهم كان حظُّه من الجهل أكثر من حظُّه من

العلم، ونصيبه من الغلظة والجفوه أعظم من نصيبه من
الرقّة واللين.

- الأعراب يُقبلون بما حفظوا من غلظتهم وجفوتهم
وعصبيتهم وجهلهم.

- الأسرى يقبلون بما ورثوا من حضارتهم، وما تستتبعه
الحضارة في أعقاب أمرها من الضعف والفساد، وبما
تستتبعه الهزيمة والرقُّ من انكسار النفوس وذلتها،
وحسرتها على ما مضى، وبأسها مما يقبل، وبغضها
لسيدها وخوفها منه، ومكرها به وكيدها له.

- الناشئون بين أولئك وهؤلاء يأخذون بحظوظهم من
أخلاق أولئك وهؤلاء، فتختلط الأمور عليهم،
ويكونون مصدراً لاختلاط الأمور على غيرهم من
الناس، وبهذا كله تتعقد أمور السياسة تعقداً شديداً،
ويجد الأمراء أنفسهم أمام مشكلات كلما حاز منها طرفاً

نَجَمَ طرف آخر.

- هذا ما كتبه سعيد إلى عثمان رضي الله عنه لينبئه بحقيقة الأمر في مصره.

- عثمان رضي الله عنه يؤثر الخير والعافية ما استطاع، ويجنب نفسه والناس الفتنة ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ويقدم أصحاب السابقة وما يتصل بأسبابهم على غيرهم، ثم ينزل الناس بعد ذلك منازلهم بالحقن لا يؤثر ولا يظلم ولا يجوز.

- عثمان رضي الله عنه يشعر منذ ذلك الوقت بأن أمور الناس قد تغيرت، وبأن الفتنة قد أخذت تظهر، وبأن الاحتياط من الفتنة شيء ليس منه بد.

- عثمان رضي الله عنه يخطب للناس في المدينة، فينبئهم من ذلك بما علم، ويحذرهم الفتنة ويخوِّفهم منها، ويستشيرهم فيما تقدم به إلى سعيد من السيرة السياسية فيقرّوه عليه.

- عثمان رضي الله عنه يقترح أمراً خطيراً، فرح الناس من أهل المدينة

- به حين سمعوه وابتهجوا له ابتهاجاً عظيماً.
- عثمان رضي الله عنه يظن أنه سيصلح باقتراحه بعض ما فسد ويجمع بعض ما انتشر.
 - ما اقترحه عثمان رضي الله عنه هو أن ينقل إلى الناس فيأهم حيث أقاموا من بلاد العرب، فلا يقيم في الأمصار إلا من كان له في الإقامة فيها أرب، ما عدا الجند فليس من إقامتهم في الأمصار بد.
 - أهل المدينة يدهشون حين سمعوا بهذا الاقتراح من عثمان رضي الله عنه.
 - أهل المدينة يقولون لعثمان رضي الله عنه: كيف تنقل إلينا ما أفاء الله علينا من الأرض؟
 - عثمان رضي الله عنه - وهذا لب الاقتراح - نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز.
 - الناس يفرحون بما فتح الله به أمراً لم يكن في حسابهم.

- الناس يتفرقون وقد فرّجها الله عليهم بما اقترحه

عثمان رضي الله عنه.

- عثمان رضي الله عنه عرض على اهل الحجاز أولاً، ثم عمم ذلك

في بلاد العرب كلها فيما بعد: أن يستبدلوا بما كان لهم في

العراق وفي الأقاليم من الأرض أرضاً في الحجاز أو

غيرها من بلاد العرب، فإذا فعلوا ذلك قاموا في بلادهم

لم ينقلوا عنها، ويقوم معهم أهلهم وذوو أسبائهم

فيخف الضغط على الأقاليم، وتقل هجرة الأعراب

إليها، وسيحتاج هؤلاء الذين يشترون أرض الحجاز

وبلاد العرب مكان أرض الأقاليم، إلى كثير من الأيدي

العاملة لاستصلاحها واستثمارها والقيام عليها، فيكثر

اجتلاب الرقيق والموالي إلى بلاد العرب، ويخفُّ الضغط

على الأقاليم من هؤلاء الأسرى الذي كانوا يطرؤون

على الأمصار من غير انقطاع.

- فرحُ الناس وابتهاجهم سببه؛ أن أرض الحجاز أحب إلى أهل الحجاز من أرض العراق، وأرض اليمن أحب إلى أهل اليمن من أرض الشام؛ ومصر هي منهم قريبة، فهم يستطيعون أن يقوموا عليها في غير مشقة ولا كلفة ولا احتياج إلى السفر القصير أو الطويل، ولا إلى الهجرة من أرض الآباء والأجداد.
- عثمان رضي الله عنه يكتب باقتراحه في الآفاق، فيفتح للناس باباً عظيماً كان له أبعد الأثر في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعقلية جميعاً.
- الناس بدؤوا يبيعون ما يملكون في أراضٍ في الأقاليم فتتوفر بين أيديهم الأموال، والذين يشترون الأرض في بلاد العرب عامة وفي الحجاز خاصة بدؤوا في استغلال أرضهم، فبدؤوا باجتلاب الرقيق وأكثروا من اجتلابهم.
- الحجاز يستحيل إلى جنة من أجمل جنات الأرض

وأخصبها وأحسنها ثمرأ وأعودها على أهلها بالغنى،
وما يستتبع الغنى من الترف والفراغ.

- طبقة من الاستقرارية تنشأ في الحجاز في (مكة والمدينة والطائف)، وهي طبقة لا تعمل شيئاً، وإنما يعمل لها ما جلبت من الرقيق، وتنفق وقتها في فنون اللهو والعبث والمجون.

- طبقة العرب البادين المحرومين لم تملك قط أرضاً في الحجاز لتبيعها بأرض في العراق، ولم تملك قط أرضاً في العراق لتشتري بها أرضاً في الحجاز.

- عثمان رضي الله عنه حين فكر في هذا الاقتراح لم يفكر في نتائجه البعيدة هذه، وإنما رأى شراً فإراد حسمه، وأراد أن يخفف الهجرة على الأمصار، ويمسك الأعراب في بلادهم، ويجلب الأسرى والرقيق إلى بلاد العرب، ويستخلص لأهل الحجاز من أصحاب الملكيات

الصغيرة في الأقاليم ما لهم ليشتروا به الأرض التي
تليهم ويقوموا عليها من قريب.

- طبقتان نشأت إثر ما أقره عثمان رضي الله عنه:

- طبقة الارستقراطية العليا: ذات المولد والثراء الضخم
والسلطان الواسع.

- وطبقة البائسين الذين يعملون في الأرض ويقومون
على متطلبات السادة.

وما بين هاتين الطبقتين المتباعدتين وجدت طبقة متوسطة في
طبقة العامة من العرب، الذين كانوا يقيمون في الأمصار
ويغيرون على العدو ويحمون الثغور، ويذودون عمن وراءهم
من الناس وعماء وراءهم من الثراء، وهذه الطبقة المتوسطة هي
التي تنازعها الأغنياء ففرقوها شيعاً وأحزاباً، والصراع كان بين
الأغنياء وبين الطبقة الوسطى.

- هنا نشأت الفتنة من تزاحم الأغنياء على الغنى

- والسلطان، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء.
- نظام عثمان رضي الله عنه ما إن يذاع ويسرع الأغنياء إلى الانتفاع به يظهر الشر، وأول ظهوره كان في الكوفة قبل غيرها من الأمصار.
 - الشر يظهر في مجلس سعيد بن العاص نفسه سنة ثلاث وثلاثين هجرية.
 - سعيد يتخير وجوه الناس وقراءهم وذوي الصلاح منهم ليدخلوا عليه إذا ما جلس العامة، ويسمروا عنده إذ كان الليل.
 - سعيد يقول ذات ليلة: إنما السواد - سواد الكوفة - بستان لقريش.
 - القوم يتغاضبون، وكانت كثرتهم من اليمانية فردوا عليه رداً غليظاً، وقالوا له: إنما السواد فيء أفاءه الله علينا، وما نصيب قريش منه إلا كنصيب غيرها من المسلمين.

- صاحب الشرطة سعيد يغضب؛ لأن القوم ردّوا على الأمير ردّاً غليظاً فزجرهم.
- القوم يقومون إلى صاحب الشرطة فيضربونه حتى يغمى عليه.
- سعيد يقطع سمره ويحتجب عن هؤلاء الناس.
- الناس يلزمون مجالسهم وأنديتهم، ويطلقون ألسنتهم في سعيد وفي عثمان رضي الله عنه وفي قريش.
- يتسامع ناس آخرون فينضمون إليهم.
- سعيد يكتب إلى عثمان بأمرهم، ويذكر أنه يخافهم أن يفتنوا الناس.
- عثمان رضي الله عنه يجيبه ويطلب إليه أن يسيرهم إلى الشام.
- عثمان رضي الله عنه يكتب إلى معاوية يأمره بلقائهم واستصلاحهم.
- معاوية يتلقى هؤلاء النفر فينزلهم في كنيسة ويجري

عليهم ما يقيم أودهم.

- معاوية يسعى إليهم مرة، ويدخلهم عليه مرة أخرى، يناظرهم ويؤامرهم ويعظهم فلا يبلغ منهم شيئاً.
- معاوية يناقشهم في فضل قريش على العرب، فلم يعرفوا لقريش على العرب فضلاً، والإسلام لا يعرف لقريش فضلاً على العرب ولا على غيرهم من الناس إلا أن يكون هذا الفضل هو أن النبي ﷺ قد بعث منهم.
- انبعاث النبي ﷺ من قريش لا يبيح لها أن تتحكم في رقاب الناس، ولا أن تمتاز عن سائر المسلمين كما صارت تمتاز في أيام عثمان رضي الله عنه، وهو على كل حال لا يبيح لأمر قريشي أن يقول: إنما السواد بستان لقريش.
- معاوية يناظرهم في الطاعة للإمام وولائه عليهم، فلم يبلغ منهم شيئاً، لأنهم لم ينكروا الطاعة للإمام ما أقام العدل وأمضى الحق وأحيا السنة وأمات البدعة.

- أنكروا طاعة الإمام وولاته إن جاروا عن القصد وانحرفوا عن الطريق.
- معاوية يناظرهم في نفسه فلم يبلغ منهم شيئاً، فأنكروا عليه أن يعظهم وأن يسير فيهم سيرة الأمير.
- طلبوا إلى معاوية أن يعتزل الإمارة ليلتئها من هو أقدم منه بالإسلام عهداً وأكرم منه أباً وأجدر منه أن يقيم حدود الإسلام.
- معاوية استيأس من إصلاح هؤلاء النفر وخافهم على أهل الشام، وهو الكثير الخوف على أهل الشام.
- معاوية يكتب إلى عثمان رضي الله عنه أن يستعفيه من إقامتهم عنده.
- عثمان رضي الله عنه يعفيه، ويطلب إليه أن يردهم إلى مصرهم (الكوفة).
- هؤلاء القوم ما أن عادوا إلى الكوفة حتى أطلقوا

ألستهم في سعيد وفي معاوية وفي عثمان رضي الله عنه، وانتشرت
دعوتهم شيئاً ما.

- سعيد يعيد الكتابة إلى عثمان رضي الله عنه يستعفيه من إقامة
هؤلاء الناس في مصرهم.

- عثمان رضي الله عنه يعفيه ويأمره أن ينفهم مرة أخرى إلى الجزيرة،
عند عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، أمير معاوية على
حصص الجزيرة.

- القوم يُرسلون إلى عبدالرحمن، فيتلقاهم أشد اللقاء
وأعنفه ويسوّمهم الخسف ويعظّم لهم أمر نفسه وأمر
أبيه وأمر قريش لا بالمناظرة والحجاج، بل بالقول
الغليظ والسيرة التي هي أغلظ من القول، وجعل لا
يركب إلا أمشاهم حول ركابه يؤنبهم ويزجرهم
ويذلّمهم ويجعلهم للناس نكالا.

- القوم لما شق عليهم ما فعله عبدالرحمن بهم أظهروا

- الطاعة وأعلنوا التوبة فاستقالوه فأقال عثرهم.
- عبد الرحمن يرسل الأشر (أحدهم) بتوبتهم وطاعتهم إلى عثمان رضي الله عنه.
 - الأشر يقبل على عثمان رضي الله عنه فيقول له ويسمع منه.
 - عثمان رضي الله عنه يأذن للأشر في أن ينزل من الأرض حيث يشاء، فيؤثر الرجوع إلى أصحابه والإقامة عند عبد الرحمن.
 - إقامة الأشر لم تطل.
 - سعيد يقدم على، عثمان رضي الله عنه، يستخلفه على الكوفة.
 - أصحاب المنفيين أو المسيرين يثبون ويجمعون أمرهم على أن يمنعوا سعيداً من الرجوع إليهم.
 - هؤلاء يكتبون إلى أصحابهم ليستقدموهم فيقبلوا مسرعين حتى يبلغوا الكوفة، وما أن بلغوها أقسموا أن لا يدخلها عليهم سعيد ما حملوا سيوفهم.

- القوم يخرجون في جمع منهم يقودهم الأشر حتى يبلغوا الجرعة.
- انتظروا سعيداً حتى ردوه، وأكرهوا عثمان رضي الله عنه على أن يعزله ويولي عليهم غيره، واختاروا أبو موسى الأشعري.
- عثمان رضي الله عنه لم يجد بداً من توليه الأشعري عليهم.
- القوم يثوبون إلى شيء من الأشتقرار، ولكنه استقرار لم يدم إلا قليلاً.

منظر
خليفة سعيد بن العاص

فريق من كبار الصحابة كانوا يملكون كثيراً من المال السائل والجامد في الحجاز، فأسرعوا ينفقون ما لهم سائله وجامده في شراء الأرض في الأقاليم، لأنهم كانوا يعلمون أن أرض الأقاليم أخصب تربة وأكثر ثمرة وأيسر استغلالاً من أرض الحجاز.

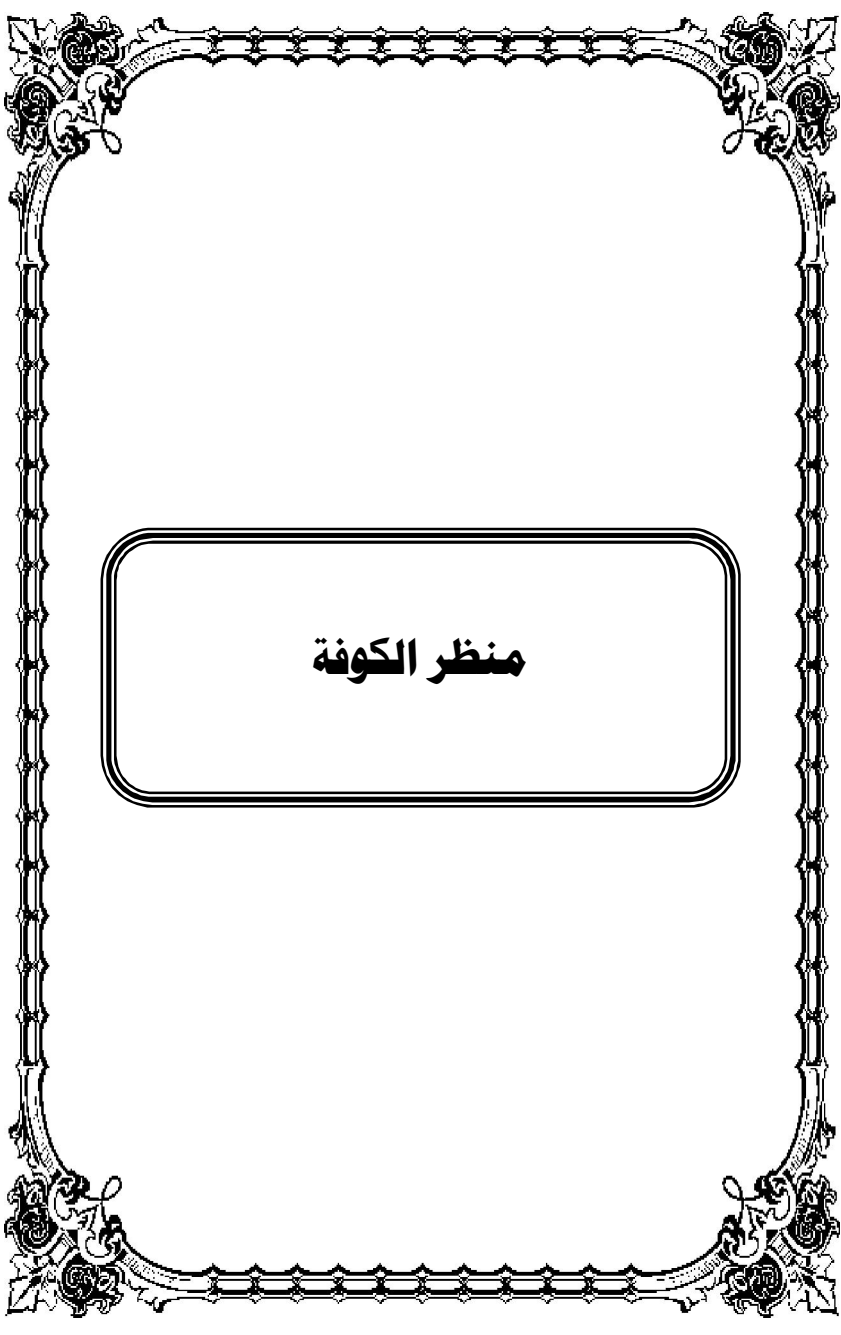
- طلحة بن عبيد الله يجد ويجتهد ويدأب حتى اشترى عامة أسهم خيبر من الذين شهدوا فتحها مع النبي ﷺ أو من روثهم.

- حينما فتح عثمان رضي الله عنه الباب باقتراحه باع طلحة كل ما كان يملك من أسهم خيبر لأهل الحجاز ممن شهد فتح العراق بما كانوا يملكون هناك، ثم كان له مال آخر كثير، فاشترى به من بعض أهل الحجاز أرضهم في العراق، وباع هو نفسه أرضاً كان يملكها في العراق بأرض كان يملكها في الحجاز.

- الناس يفعلون فعل طلحة، فكل من كره الهجرة من الحجاز ليقم بأرضه في الأقاليم باع أرضه تلك واشترى مكانها أرضاً فيما يليه.
- الملكيات الضخمة تظهر في العراق وغيره من الأقاليم.
- الذين استطاعوا أن ينتفعوا باقتراح عثمان رضي الله عنه هم أصحاب الأموال الضخمة الذين كانوا يستطيعون أن يشتروا من أصحاب الملكيات الصغيرة ما يملكون.
- طلحة يشتري، الزبير يشتري، مروان بن الحكم يشتري.
- النشاط المالي يكثر من بيع وشراء واقتراض واستبدال ومضاربة.
- هذا النشاط لم يقتصر على الحجاز والعراق، وإنما شمل بلاد العرب كلها من جهة، والأقاليم المفتوحة كلها من جهة أخرى.

خليفة سعيد بن العاص

- سعيد يجلس للناس في مجلسه، ويحضر مجلسه نفر من الوجوه والقراء، فيتحدثون في جرد طلحة بن عبيد الله.
- سعيد يقول: من كان له ثراء طلحة، ومثل ما يملك من الأرض خليق أن يكون جراداً، ولو كان لي مثل ما لطلحة لأعشتكم في رغد.
- غلام مضري من بني أسد يقول له: وددت لو كان للأمير ارض كذا على الفرات - وكانت هذه الأرض ملكاً للدولة - فكانت إذن من فيء المسلمين.
- فقام نفر الجالسون إلى الغلام فضربوه وضربوا أباه حتى أغمى عليها.
- بنو أسد تغضب لذلك.
- سعيد يحاول أن يصلح فلم يفلح.
- الناس من أهل الكوفة تلح على سعيد بإخراج هؤلاء نفر فيخرجهم إلى الشام.



منظر الكوفة

بعد موقعة الجمل بثلاثة أيام، علي عليه السلام يدخل البصرة، ويسير بأهلها سيرة الرجل الكريم، الذي يقدر فيعفو، وكان يقول: سرت في أهل البصرة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل مكة.

- علي عليه السلام يجلس فيبايعه الناس على راياتهم. بايعه منهم الصحيح والجريح.

- علي يعمد إلى بيت المال فيقسم ما وجد فيه على الناس.
- قوم آخرون يرون أنه قسم المال في أصحابه دون خصمه من أهل البصرة، ووعدهم مثل ذلك إلى أعطياتهم إن أظفرهم الله بأهل الشام.

- الأشبه بسيرة علي أنه قسم المال في الغالين والمغلوبين جميعاً.

- الثائرون بعثمان عليه السلام يغضبون لأنه لم يفرّق بين أنصاره وعدوه، وغضبوا كذلك لأنه لم ييح لهم أن يأخذوا ما ظفر به بعد الهزيمة، وقال: أحلّ لنا دماءهم، وحرّم علينا أموالهم.

- الشائرون يخفون من البصرة إلى الكوفة، ويعجلون علياً
عليه السلام بالحق بهم، ويضطروه أن يلحقهم مخافة أن يحدثوا
في الكوفة حدثاً.

- علي عليه السلام في البصرة أقام شهراً واحداً أو أقل من شهر،
وكانت له فيها أمور دبرها، ثم أرتحل إلى الكوفة
متعجلاً - يريد أن يستعد لحرب أهل الشام - بعد أن
صرفته عن حربهم فتنة أولئك الذين كان يسميهم
"الناكثين" لأنهم بايعوا ثم نكثوا البيعة، وكان من أهم
هذه الأمور أن يفرغ من أمر الموقعة واعقابها، وأن
يطمئن على أمن البصرة بعد انصرافه عنها، وقد جعل
يستصلح الناس فيعفوا عنهم ويعطيهم الرضا، ويؤمن
الخائف منهم ويتجاهل مكان العدو.

- جماعة بني أمية أصابتهم جراحات الموقعة، وأشفقوا ألا
يؤمنهم علي عليه السلام فتشتوا في الأرض وطلبوا الجوار إلى

أشرف العرب، فأجروهم وأقاموا على تمريضهم ثم
أبلغوهم مآمنهم.

- علي عليه السلام يعلم بهذا كله، ويخفي علمه به، لأنه لم يكن يريد
بأحد بعد الموقعة شراً.

- علي عليه السلام يؤمّر عبدالله بن عباس على البصرة، ويؤمر زياداً
على الخراج، وارتحل إلى الكوفة.

- علي عليه السلام يصل الكوفة ويجد فيها حزناً وخوفاً؛ وجد
الحزن عند الذين أصيب أبناؤهم وإخوانهم وآباؤهم،
ووجد الخوف عند الذين لم ينفروا معه، فأشفقوا أن
يسخط عليهم، ولكنه واسى أولئك، واستصلح هؤلاء،
وجعل يستعد لحرب أهل الشام.

- علي عليه السلام لم يضع شيئاً من وقته، ولم يوفق بنفسه ولا
بأصحابه، فلم يكد يفرغ من حرب الناكثين كما كان
يسميهم، حتى بدأ يتأهب لحرب القاسطين كما كان يسميهم
كذلك.

- علي عليه السلام يصل الكوفة في أواخر رجب، فلم يقم فيها إلا أربعة أشهر استعد أثناءها للحرب.
- أصحاب علي عليه السلام لم يرفقوا بأنفسهم أيضاً، فقد مكان المتصرون منهم حراساً على ان يضيفوا نصراً إلى نصر، وكان المتخلفون منهم حراساً على أن يعوضوا ما فاتهم به اصحابهم الذي قاتلوا يوم الجمل، وأن يرضوا علياً عليه السلام من أنفسهم بما يبلون في الحرب المقبلة من بلاء، وكانت الحرب المقبلة محتاجة إلى البلاء الحسن كله.
- وفي الشام جمد أولو قوة وأولو بأس شديد، وهؤلاء الجند في كنف معاوية بن أبي سفيان الذي ورث الحنكة وتشرب الحكمة، وتعود القيادة مارس الإمارة لفترة طال عقدها.
- فمعاوية ورث عن ابيه الدهاء في الحكم، والقوة في الرجولة، والمرونة في المطاولة، والصرامة في المقارعة.

- عثمان رضي الله عنه في آخر أيامه بعد أن كثر قول الناس فيه وإنكارهم عليه، فاقترح عليه أن ينتقل معه إلى الشام، لكن عثمان رضي الله عنه يأبى أن يترك جوار النبي صلى الله عليه وسلم.
- معاوية يقترح على عثمان رضي الله عنه أن يرسل إليه جنداً من أهل الشام يحتلون المدينة ويقومون فيها دونه.
- عثمان رضي الله عنه يأبى أن يضيق بهؤلاء الجند على أهل المدينة.
- معاوية يخرج إلى الشام بعد أن أوصى المهاجرين بالشيخ خيراً، ولمح إليهم بالندير إن هم أعانوا عليه أو قصرُوا في ذاته.
- معاوية بعد أن عاد إلى الشام وعرف اشتداد النكير على عثمان رضي الله عنه، وعرف أن عثمان رضي الله عنه قد حصر لم يُخَفَّ إلى نصرته ولم يرسل إليه جنداً.
- عثمان رضي الله عنه يرسل كتاباً إلى معاوية يستغيثه كما استغاث غيره من العمال.

- معاوية يبطئ عن نصر عثمان رضي الله عنه كما أبطأ غيره.
- معاوية بدا متأنياً بعيد الأناة، وكان متحفظاً شديداً التحفظ، وكان على ذلك نشيطاً أشد النشاط، يعمل عقله ورويته غير انقطاع، ويدعو الناس إلى نصره في غير إلحاح أول الأمر، وإنما كان يعظم قتل الخليفة المظلوم، ويهون من امر هذا الحدث المنكر، حتى انقادت إليه قلوب أهل الشام وضماؤهم.
- أهل الشام يظهرون من الغضب لعثمان رضي الله عنه والطلب بدمه أكثر مما كان يظهر معاوية، وإذ هم يتعجلون في النهوض، وهو مع ذلك يُبَطِّئهم.
- معاوية بين مُطْمَع لهؤلاء، وخيف لأولئك، ويتنظر بهؤلاء الشيوخ من أصحاب الشورى من المهاجرين والأنصار ليرى ما يصنعون، يدس لبعضهم من بني أمية المرغبين والمرهبين والمبشرين والمنذرين.

- معاوية لما رأى انحياز طلحة والزبير وعائشة عليه السلام إلى مكة وائتمارهم بقتال علي عليه السلام غضباً لعثمان عليه السلام لم يدعهم إليه ولن ينصرهم بجنده، وإنما ألقى أنصاره في روعهم أن معاوية سيكفيهم الشام، وقد يكفيهم مصر، وإن عليهم أن يستأثروا بالعراق من دون علي عليه السلام ليحصر علي عليه السلام في الحجاز، ثم يؤخذ بين من يخفُ لحربه من شرق الدولة وغربها.

- الشيخان سمعا وسمعت عائشة عليها السلام للمبشرين بذلك من بني أمية، فقصدوا إلى البصرة يريدون أن يحتازوها، ثمغيروا بعد ذلك بأهلها على الكوفة، فإذا فرغوا من العراق كان التعاون بينهم وبين معاوية على علي عليه السلام، ثم تنظم بعد ذلك خلافة ثلاثية، قوامها طلحة والزبير ومعاوية.

- علي عليه السلام يابى هذه الخلافة الثلاثية التي طلبها إليه

الشيخان بعد أن بايعاه.

- علي عليه السلام ينصرف إلى التأهب لحرب معاوية وأهل الشام، واشتغل بالشيخين وأم المؤمنين يريد أن يردهم إلى الطاعة، ويريد إن أبوا أن يقاتلهم.

- معاوية يرضى كل الرضى عن اشتغال هؤلاء الشيوخ من المهاجرين والأنصار بأنفسهم، وفرغ هو لأمره يدبره ويحكم تدبيره.

وكان مما لا يخفى ذكر أن اختلاف الشيوخ فيما بينهم أوهن قوتهم وأذهب ريحهم، من حين أن الشام عن الصراع بمعزل وغنى، وعن التناحر والتخاصم والتقاتل بمبعد ومتأتى.

- اقتتل هؤلاء الشيوخ من المهاجرين والأنصار فقتل طلحة والزبير، وعادت عائشة رضي الله عنها إلى بيتها في المدينة، واستقرت فيه، وكثر القتل في أهل البصرة والكوفة وانتشر الحداد في كثير من دورهم.

- ينظر معاوية فإذا هو قد أصبح يلقي علياً عليه السلام وجهاً لوجه، وهو بعد ذلك لم يتعرض لحرب، ولك يكلم أحد، ولم يكلمه أحد، قوته موفورة، وعدته كاملة، وأصحابه وافرون، لم يصابوا في أنفسهم ولا في أموالهم، وهم قد اجتمعوا على حبه ونصره حتى يثار لابن عمه الخليفة المظلوم.
- علي عليه السلام خاض حرباً مكثرة، قتل فيها من أنصاره ومن عدوه خلق كثير، فعدوه واجدون عليه لأنه وترهم فيمن قتل منهم، وأنصاره لا يبرأون من الوجدين عليه لأنه قتل إخوانهم في حرب البصرة.
- الفرق بين علي عليه السلام ومعاوية في السياسة والسيرة كان عظيماً بعيد المدى.
- معاوية كان ينتظر علياً عليه السلام في ثبات وثقة واطمئنان.



منظر متصل
مقارنة بين علي ومعاوية

علي عليه السلام كان مؤمناً بالخلافة كما تصورها المسلمون أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الصدر الأول من خلافة عثمان رضي الله عنه.

- علي عليه السلام يرى أن عليه أن يقيم العدل بأوسع معانيه بين الناس، لا يُؤثر أحداً منهم على أحد، ويرى أن من الحق عليه أن يحفظ على المسلمين ما لهم لا ينفقه إلا بحقه، فهو لا يستبيح لنفسه أن يأخذ من بيت المال لنفسه وأهله إلا ما يقيم الأود لا يزيد عليه، وإن استطاع أن ينقص منه فعل.

- وكان علي عليه السلام لا يحب الادخار في بيت المال، وإنما ينفق منه على مصالح المسلمين، فإن بقي بعد ذلك شيء قسمه بين الناس بالعدل، وكان يحب أن يدخل بيت المال، فإن وجد فيه شيئاً لا يحتاج إليه لمصلحة عامة، فرّقه بين الناس بالقسط، ثم يأمر ببيت المال فيكسح وينضح بالماء، ثم يصلي فيه ركعتين ثم يقول: هكذا

- يجب أن يكون بيت المال.
- علي عليه السلام كان في إنفاق دائم على الناس ولكن على أساس ثابت من العدل والقسط.
 - معاوية كان يسير سيرة أقل ما توصف به أنها سيرة الرجل العربي الجواد الداهية، يعطي الناس ما يسعه إعطاؤهم، ويصل الذين يريد أن يتألفهم من الرؤساء والقادة، لا يجد في ذلك بأساً ولا جناحاً، فكان الطامعون يجدون عنده ما يريدون، وكان الزاهدون يجدون عند علي عليه السلام ما يحبون.
 - علي عليه السلام جاءه أخوه عقيل بن أبي طالب مسترفداً، فقال لابنه الحسن عليه السلام، إذا خرج عطائي فسر مع عمك إلى السوق واشتر له ثوباً جديداً ونعلين جديدين، ثم لم يزد على ذلك شيئاً.
 - معاوية يبيئه عقيل بعد أن لم يرض صلة أخيه فيعطيه من

بيت المال مائة ألف.

- معاوية يعتمد مذهبه هذا في السياسة لعلمه أنه سيضم إليه كل من كان له إرب في الدنيا.
- معاوية لم يَكْفِه ان يقف في صَلَاتِهِ على اهل الشام، وإنما كان له عيون في العراق يَرَّغبون ويرهبون ويوصلون الأموال سرّاً.
- علي رضي الله عنه لم يكن على شيء من هذا الذي كان عليه معاوية.
- كان علي رضي الله عنه حريصاً على الأمانة في المال وعلى الوفاء بالعهد، ولا يدهن في الدين، ولم يكن يبغض شيئاً كما كان يبغض وضع درهم في بيت مال المسلمين في غير موضعه أو إنفاقه في غير حقه.
- كان علي رضي الله عنه يبغض المكر والكيد وكل ما يتصل بسبب من أسباب الجاهلية الأولى.

- الحق أَمَامَ عليٍّ عليه السلام يَبِّنُ، وكان يمضي إليه مصمماً، ويدعو أصحابه إلى أن يمضوا إليه مصممين. وكان الباطل أَمَامَهُ بَيِّنًا، فكان يعرض عنه عازماً ويدعو أصحابه إلى أن يعرضوا عنه عازمين.

- عليٌّ عليه السلام من أجل ذلك كان له أنصار يحبونه ويخلصون إليه الحب، ويزودون عن سلطانه بأنفسهم وأموالهم، وهو لذلك لم يكذب يستقر في الكوفة حتى جعل أصحابه يطلبون إليه أن ينهض بهم إلى عدوهم من أهل الشام، ولكنه أبى على ذلك أن يمضي إلى الشام قبل أن يرسل السفراء إلى معاوية يدعوه إلى الطاعة والدخول فيها كما دخل الناس، لتكون حجته ظاهرة، ويتبعه من تبعه على بينة من أمره وعلى هدى من الله.

نذر الحرب

- علي عليه السلام يرسل جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية ويطلب إليه أن يبايع فيدخل فيما دخل فيه الناس.
- جرير البجلي ينتهي إلى معاوية فيكلمه ويعظه ويلح عليه في الكلام بالوعظ.
- معاوية يسمع من جرير ولا يقول شيئاً، وإنما يطاوله ويسرف في مطاولته.
- معاوية يدعو وجوه أهل الشام ورؤساء الأجناد، فيظهر مشاورتهم فيما يطلب إليه علي عليه السلام، ويعظم لهم قتل عثمان عليه السلام ويجرضهم على الوفاء للخليفة المظلمون والطلب بدمه.
- وهنا يظهر عمرو بن العاص الذي لم يكن أقل من معاوية حنكة وحكمة، ولا أهون منه دهاء وقوة، وكان من المعارضين لعثمان عليه السلام.

- معارضة ابن العاص الخفية أشد من معارضته الظاهرة.
- ابن العاص يؤلّب الناس ويحرضهم سراً.
- عمرو بن العاص بعد اشتداد الفتنة يقرر اعتزالها ويخرج إلى أرض كان يملكها في فلسطين، فيقيم فيها ويتنسم الأخبار.
- عبدالله ومحمد ابنا ابن العاص يخرجان معه.
- عمرو بن العاص وابناه في فلسطين فيجيئهم نبأ مقتل عثمان رضي الله عنه.
- عمرو يقول حينها: أنا أبو عبدالله، ما حككت قرحة إلا أدميتها.
- يريد أنه مهد لأمر فاحكم التمهيد، وانتهى الأمر إلى غايته.
- يجيء الخبر إلى عمرو بن العاص بأن الناس بايعوا علياً رضي الله عنه، وبأن معاوية يأبى البيعة ويطالب بشار عثمان رضي الله عنه،

وبأن أهل الشام جميعاً له ناصرون.

- عمرو بن العاص يدير الأمر بينه وبين أبنيه: أي موقف يقف من هذين الرجلين.

- عبدالله بن عمرو يشير على أبيه أن يعتزل الناس حتى إذا اجتمعت الكلمة والتأم الشمل دخل فيما فيه المسلمون.

- عبدالله يلح على أبيه في ذلك، ويذكره بأن النبي ﷺ والشيخين عليه السلام من بعده قد فارقوا الدنيا وهم عنه راضون، فما ينبغي أن يضيع ما أتيح له من الفضل والمنزلة.

- محمد بن عمرو بن العاص يقول لأبيه: أنت ناب العرب، فما ينبغي أن تبرم الأمور وأنت مختلف، وأشار عليه أن يلحق بمعاوية.

- عمرو بن العاص يقول: أما عبدالله فقد أشار عليّ بما ينفعني في ديني وآخرتي. وأما محمد فقد أشار

عليّ بما ينفعني في دنياي.

- عمرو بن العاص يبيت ليلته مسهداً يضرب أمره أخماساً
لأسداس، يكرهبيعة علي عليه السلام لأنه لا ينتظر من هذه
البيعة منفعة أو ولاية أو مشاركة في الحكم، ولأنه يعلم
أن علياً عليه السلام سيجعله رجلاً من الناس له ما لهم، وعليه ما
عليهم، ويشفق من اللحاق بمعاوية، لأنه يرى أن
معاوية يسمو إلى شيء ليس له أهلاً، ولأنه لم يكن
يستحب بادئ الرأي أن يفرط في امر دينه، ولكنه فكر
وقدّر وأطال التفكير والتقدير، وحاول أن يصبر نفسه
على اعتزال الناس، فلم يطق صبراً على الخمول
والانتظار، ولم يكن قد نسي ولاية مصر التي أتيحت له
أيام عمر عليه السلام، ولم يكن قد طاب نفساً عن عزل عثمان عليه السلام
إياه عن هذه الولاية، إذ كان كما يظهر يحن إلى مصر
حينئذ متصلاً، حتى إذا اسفر الصباح كان رأيه قد استقر

على أن يلحق بمعاوية.

- عمرو بن العاص يرتحل إلى دمشق ومعه ابنه.
- عمرو بن العاص في الشام، يجد أهل الشام يحرضون معاوية على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه ويحرضونه على النهوض لحرب علي رضي الله عنه.
- عمرو بن العاص ينضم إلى المحرضين والمحرضين، ويلتقي معاوية ويعظم له أمر الخليفة المظلوم.
- معاوية يسمع إلى عمرو بن العاص دون أن يظهر احتفالاً بما كان يقول له ويظهر الأناة والتمهل.
- أهل الشام يتحرقون شوقاً إلى الحرب، ويرون في ذلك أداءً لحق الخليفة المقتول رضي الله عنه، وقياماً بواجب يفرضه عليهم الدين.
- عمرو بن العاص يتعجل الحرب ليظهر حاجة معاوية إليه.

- عمرو بن العاص لما طال عليه إعراض معاوية عنه، يدخل عليه ذات يوم فيتحدث إليه حديثاً صريحاً فهمه معاوية حق فهمه، فقد أظهر له عجبه من هذا الإعراض عنه، مع أنه إنما يضحى بشيء كثير حين ينضم إليه، فيعرض معونته بالرأي واليد واللسان.
- معاوية سمع ذلك وفهمه واستيقن أن ابن العاص إن انصرف عنه كاد له فأبلغ في الكيد، وأن من الخير أن يستصلحه ويستخلصه لنفسه ويعطيه جزاءه على ذلك، ولأن عمرو صاحب حرب ومكيده، فتح فلسطين وفتح مصر واطمأن إليه عمر رضي الله عنه منذ فتح مصر إلى قتله، وهو داهية من دواهي العرب وشيخ ذو مكانة من شيوخ قريش.
- معاوية يسأل عمراً عما يريده ثمناً لانضمامه إليه، فطلب إليه عمرو أن يطعمه مصر حياته.

- معاوية يستكثر هذا الثمن، ويصير بين الاثنين شيء من مشادة حتى كاد عمرو يرتحل ويعود أدراجه مغاضباً.
- عتبة بن أبي سفيان يدخل بين معاوية وعمرو، وما زال بمعاوية أخيه حتى أرضاه بالنزول لعمرو عن مصر أثناء حياته، وكتب بهذا الاتفاق بين الرجلين عهداً مؤكداً.
- ابنا عمرو بن العاص لم يرضيا عن ذلك، فعبدا الله يذهب إلى أن أباه قد رضي من دينه بثمان قليل، ويذهب محمد إلى أن أباه قد باع رأيه بثمان قليل.
- الجموع تلتئم حول معاوية، وهم رؤوساء الأجناد وشيوخ القبائل وأهل بيته من بني أبي سفيان وبنو عمومته من بني أمية، وانضم إليه عمرو بن العاص، وكلهم كانوا يحرصون معاوية على النهوض للحرب ويستبطنونه، ويوشك بعضهم أن يتهمه بالعجز والقصور.

- معاوية بعد ان اجتمع أمره رد جرير بن عبدالله البجلي
سفير علي عليه السلام إلى الكوفة دون أن يعطيه شيئاً، وعاد فأنبأ
علياً بامتناع معاوية عليه وعظم له من أمر أهل الشام.
- علي عليه السلام لم يرض عن سفارة جرير.
- جماعة من أصحاب علي عليه السلام على رأسهم الأشتر أسمعوا
جريراً بعض ما يكره، فغضب وارتحل بأهله، فلحق
بطرف من أطراف الشام في قر قيساء.
- معاوية يتأهب للحرب، ولكنه أسفر إلى علي عليه السلام، كما
أسفر علي عليه السلام إليه.
- أصحاب معاوية لم تكن نفوسهم مطمئنة إلى القتال، كما
أنها لم تكن كذلك راضية عن قتل عثمان عليه السلام، وإعفاء
الذين قتلوه من العقاب.
- أبو مسلم عبدالرحمن الخولاني أحد أصحاب معاوية
يقول لمعاوية: علام تقاتل علياً، وليس لك مثل فضله

وسابقته في الإسلام؟

- معاوية يرد عليه: إني لا أقاتله وأنا أدعي أن لي مثل فضله أو سابقته، وإنما أطلبه بأن يدفع إلينا قتلة عثمان رضي الله عنه حتى أقتص منهم.
- أبو مسلم: اكتب إليه في ذلك، فإن أجابك إلى ما تريد فقد صرفت عنا الحرب، وإن أبى قاتلناه على بصيرة.
- معاوية يريد قطع حجة أبي مسلم وأمثاله من المترددين، فكتب كتاباً إلى علي رضي الله عنه وأرسله مع أبي مسلم.
- نص كتاب معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب، أما بعد فإن الله اصطفى محمداً وجعله الأمين على وحيه، والرسول إلى خلقه، ثم اجتبى من المسلمين أعواناً أيده بهم، فكانوا في المنازل عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، وكان أنصحهم لله ورسوله خليفته ثم خليفة خليفته، ثم الخليفة

الثالث المقتول ظلماً عثمان، فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت، عرفنا ذلك في نظرك الشَّرر، وقولك الهُجر، وتَنفُسُك الصُّعداء، وإبطائك على الخلفاء، في كلِّ ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش، ولم تكن لأحد منهم أشد حسداً منك لابن عمك، وكان أحقهم ألا تفعل به ذلك لقرابته وفضله، فقطعت رحمه، وقبَّحت حسنه، وأظهرت له العداوة، وأبطنت له الغش، وألَّبت الناس عليه، حتى ضربت أباطل الإبل إليه ومن كل وجه، وقيدت الخيل من كل أفق، وشهر عليه السلاح في حرم رسول الله ﷺ فقتل معك في المحلة، وأنت تسمع الهائعة لا تدراً عنه بقول ولا فعل.

ولعمري يا ابن أبي طالب، لو قمت في حقه مقاماً تنهى الناس فيه عنه، وتقبح لهم ما اهتبلوا منه، ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً، ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونه به من المجانبة له والبغي عليه.

وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ظنين، إيوأوك قتلته،
فهم عضدك ويدك وأنصارك، وقد بلغني أنك تتنفي من دم
عثمان وتبرأ منه، فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته نقتلهم به،
ثم نحن أسرع الناس إليك. وإلا فليكن بيننا وبينك السيف،
ووالذي لا إله غيره لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر
والبحر حتى نقتلهم، أو تحلق أرواحنا بالله، والسلام.

- أبو مسلم ينتهي بالكتاب إلى علي عليه السلام ويجمع الناس له
في المسجد وأمر فقرأ عليهم.

- أنا يتصايحون في جنبات المسجد: كلنا قتل عثمان، وكلنا
كان منكراً لعمله.

- أبو مسلم يرى بعدها أن أصحاب علي كانوا يرون قتل
عثمان عليه السلام صلاحاً لأموال دينهم ودنياهم، ويأبون أن
يسلموا أحداً من قاتليه، ورأى كذلك أن علياً عليه السلام لو
أراد أن يسلم قتلة عثمان عليه السلام كلهم أو بعضهم لما استطاع

إلى ذلك سبيلاً. ومن أجل ذلك أبى أن يدفع أحداً إلى معاوية، فجعل أبو مسلم يقول: الآن طابَ الضراب.

- معاوية - من خلال كتابه لعلي عليه السلام - لم يكن يريد سلماً ولا عافية، وإتما كان يريد أن يعذر نفسه عند أصحابه من أهل الشام وعند المترددين والمتأثرين منهم خاصة، فطالب السلم والعافية لا يكتب إلى خصمه ليؤذيه ولا ليحفظه ولا ليغيظه، ويثير في نفسه الموحدة والشنان.

- علي عليه السلام ليس يسيراً عليه أن يقرأ في كتاب معاوية اتهامه بحسد الخلفاء والبغي عليهم والتكلم في البيعة لهم، حتى يضطر إليها اضطراراً ويقاد إليها كارهاً، وليس يسيراً عليه أن يقرأ في كتاب معاوية اتهامه بحسد ابن عمته والبغي عليه وقطع رحمه؛ إغراء للناس به، والعودة عن نصره حين ضيق عليه الثائرون به. ثم ليس من اليسير عليه أن يقرأ هذا التحدي الواضح والدعاء

إلى أن يثبت براءته من دم عثمان رضي الله عنه بتسليم قاتليه، فإن لم يفعل فليس بينه وبين معاوية إلا السيف.

- معاوية مبالغاً في التحدي زعم لعل رضي الله عنه أنه إن دفع إليه قتلة عثمان رضي الله عنه أسرع وأسرع معه أهل الشام إلى بيعته وطاعته.

- معاوية يعلم حق العلم أن علياً رضي الله عنه لن يقبل هذا التحدي ومن يُسلم إليه قتلة عثمان رضي الله عنه وهو يتحدى السلطان وينذره.

- معاوية بموقفه هذا أراد أن يبرئ نفسه أمام أهل الشام وأمام المتأثرين منهم، خاصة من تبعة الحرب التي لم يكن منها بُدّ.

- علي رضي الله عنه يرفض ما طلبه منه معاوية، ويرد مع سفيره نفسه بهذا الكتاب:

كتاب علي ؑ

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد: فإن أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمداً، وما أكرمه الله به من الهدى والوحي، فالحمد لله الذي صدق له الوعد، ومكّن له في البلاد، وأظهره على الدين كله، وقمع به اهل العداوة والشنآن من قومه، الذين كذبوه وشنعوا عليه وظاهروا عليه وعلى إخراج أصحابه، وقلبوا له الأمور حتى ظهر أمر الله وهم كارهون، فكان أشد الناس عليه الأدنى فالأدنى من قومه إلا قليلاً ممن عصم الله. وذكرت أن الله جلّ ثناؤه وتباركت أسماؤه اختار له من المؤمنين أعواناً أيّده بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلهم خليفته وخليفه خليفته من بعده. ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لرُزء جليل.

وذكرت أن ابن عفان كان في الفضل ثالثاً، فإن يكن عثمان
محسناً فسيلقى رباً شكوراً يضاعف الحسنات ويجزي بها، وإن
يكن مُسيئاً فسيلقى رباً غفوراً لا يتعاضمه ذنب أن يغفره. وإني
لأرجو إذا أعطى الله المؤمنين على قدر أعمالهم أن يكون قسمنا
أوفر قسم أهل بيت من المسلمين.

إن الله بعث محمداً ﷺ فدعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له،
فكنا أهل البيت أول من آمن وأناب، فمكثنا وما يعبد الله في ربع
سكن من أرباع العرب أحد غيرنا، فبغانا قومنا الغوائل، وهموا
بنا الهموم، وألحقوا بنا الوسائط، واضطرونا إلى شِعْبٍ ضيقٍ
وضعوا علينا فيه المراسد. منعونا من الطعم والماء العذب،
وكتبوا بينهم كتاباً ألا يؤاكلونا ولا يشاربونا، ولا يبايعونا ولا
يناكحونا ولا يكلمونا أو ندفع إليهم نبينا فيقتلوه أو يمثلوا به،
وعزم الله لنا على منعه والذب عنه، وسائر من أسلم من قريش
أخلياء مما نحن فيه، منهم من حليف ممنوع، وذو عشيرة لا

تبغيه كما بغانا قومنا، فهم من التلف بمكان نجوة وأمن، فمكثنا بذلك ما شاء الله، ثم أذن الله لرسول في الهجرة وأمره بقتال المشركين، فكان إذا حضر البأس ودعيت نزالٍ قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه، فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وجعفر يوم مؤتة، وتعرّض من لو شئت أن أسميه سميته، لمثل ما تعرضوا له من الشهادة، لكن آجالهم حضرت ومنية أخرجت. وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي لهم، فأما الحسد فمعاذ الله أن أكون أسررته أو أعلنته، وأما الأبطاء فما أعتذر إلى الناس منه ولقد أتاني أبوك حين قبض رسول الله ﷺ وبايع الناس أبا بكر، فقال: أنت أحق الناس بهذا الأمر، فأبسط يدك أبايعك، وقد علمت ذلك من قول أبيك، فكنت الذي أبيت ذلك مخافة الفرقة لقرب عهد الناس بالكفر والجاهلية، فإن تعرف من حقي ما كان أبوك يعرفه تصب ردك، وإلا تفعل فسيغني الله عنك.

وذكرت عثمان وتألبيي الناس عليه، وإنَّ عثمان صنع ما
رأيت فركب الناس منه ما قد علمت، وأنا من ذلك بمعزل، إلا
أن تتجنى فتجني ما بدا لك. وذكرت قتلته بزعمك وسألني
دفعهم إليك، وما أعرف له قاتلاً بعينه، وقد ضربتُ الأمر إلى
أنفه وعينه فلم أره يسعني دفع مَنْ قبلي ممن اتهمته أو ظننته
إليك، ولئن لم تنزع عن غيِّك وشقائك لتعرفن الذين تزعم إنهم
قتلوه طالين لا يكلفونك طلبهم في سهل ولا جبل، والسلام.

- أخفق سفير معاوية كما أخفق سفير علي عليه السلام من قبل.
- أهل الشام يستبين لهم كما استبان لأهل العراق أن ليس
من الحرب بُدّ.

- أهل الشام يريدون أن يثأروا للخليفة المظلوم عليه السلام.
وأهل العراق ومن معهم من المهاجرين والأنصار يرون أن
يكرهوا أهل الشام على البيعة والطاعة قبل كل شيء، ويرى أهل
الشام أن طاعة علي عليه السلام لا تلزمهم، لأن الناس لم يبايعوه على

رضى منهم جميعاً، لأنه عطلّ حداً خطيراً من حدود الله، وهو القصاص ممن قتل الخليفة المظلوم ﷺ، ويرى أهل العراق ومن معهم من المهاجرين والأنصار أن كثرة المسلمين الضخمة قد بايعت علياً ﷺ في للحرمين والمصرين وفي مصر أيضاً، فاصبحت طاعته واجبه، واصبح أهل الشام طائفة باغية يجب أن تقاتل حتى تفيء إلى أمر الله.

- شهر ذي الحجة من سنة ست وثلاثين فيه يقدم علي ﷺ طلائعه بين يديه ويأمرهم إن لقوا أهل الشام ألا يبدؤهم بقتال حتى يدركهم، وسار هو في معظم جيشه حتى انتهى بطلائعه إلى صفين.

- معاوية يسير في جموع أهل الشام حين علم بتأهب علي ﷺ للمسير ويقدم الطلائع بين يديه.

- معاوية يصل إلى صفين وينزل أصحابه أحسن منزل وأرحبه وأقربه إلى شريعة الفراق.

- علي عليه السلام بجيشه الضخم ينزل أصحابه بأزاء أصحاب معاوية، ولكن اصحاب علي عليه السلام لم يجدوا على الفرات شريعة يستقون منها.
- علي عليه السلام يرسل سفراءه إلى معاوية يطلبون إليه أن يخلي الماء حرّاً يشرب منه الجيشان.
- السفراء يناظرون معاوية في ذلك فلم يظفروا منه بجواب، وعادا إلى علي عليه السلام بغير طائل.
- أصحاب علي عليه السلام يرون أن معاوية يُكثر من الحرس على شرعة الفرات ليقهر علياً عليه السلام وأصحابه بالظماً، يريد أن يجرمهم الماء كما حرموا الماء عثمان عليه السلام حين كان محصوراً.
- عمرو بن العاص يلحّ على معاوية في أن يخلي بين أصحاب علي عليه السلام وبين الماء ليؤخر المناجزة.
- فالعصبية غلبت المشورة، فلم يكن بدّ من الاقتتال على الماء.

- القتال يشتد على الشّرة حتى كاد يبلغ الحرب.
- النصر يتاح لأصحاب علي عليه السلام فغلبوا خصمهم على مورد الماء، وأرادوا أن يضطروهم إلى الظماً ويقهروهم به كما كانوا هم يريدون بهم مثل ذلك.
- علي عليه السلام يأبى على أصحابه ما أرادوا، ويؤثر العافية حتى لا يتعجل الحرب قبل الإعذار إلى خصمه، وقبل مناظرتهم في ما بينهم من خلاف، ويكره أن يُظمى خصمه والله قد أجرى النهر ليشرب منه الناس جميعاً لا ليستأثر به فريق دون فريق.
- القوم يلتقون آمنين أياماً على الماء ويسعى بعضهم لبعض، ليس بينهم قتال، ولكن بينهم جدالاً شديداً وخصاماً عنيفاً.
- علي عليه السلام يرى أن يُعذر إلى معاوية وأصحابه.
- السفراء بين الفريقين يختلفون دون أن يتتهوا إلى صلح

أو شيء يشبه الصلح.

- علي عليه السلام بعد أن استيأس من خصمه عبّاً أصحابه على راياتهم وجعلت فرقتهم تخرج إلى فرق معاوية.
- تخرج فرقة في هذا اليوم من أصحاب علي عليه السلام، فتخرج لها فرقة من أصحاب معاوية، فتقتل الفرقتان نهارهما أو وجهاً من نهارهما ثم تتحاجزان، وعلي عليه السلام لا يتجاوز ذلك إلى الحرب العامة، رجاء أن يثوب خصومه إلى رشدهم، وأن يفيئوا إلى أمر الله ويؤثروا العافية بين المسلمين.
- عشرة أيام أو أكثر من آخر ذي الحجة والأمر على ما هو عليه.
- شهر المحرم يطل على الناس - وهو شهر حرام - فيتوابع الناس شهرهم كله وآمن بعضهم بعضاً.
- السفراء يسعون بين الفريقين سعيّاً متصلاً.

- السفراء أنفقوا شهرهم كله دون أن يصلوا إلى صلح أو شيء يشبه الصلح.
- الأمر يستين للفريقين أم ليس بد من أن يصطدم الجمعان.
- القوم يمضون على حربهم بعد شهر المحرم كما كانوا قبله، تخرج الكتيبة للكتيبة والقبيلة للقبيلة، والرجل للرجل وهم في أثناء هذا كله لا يختصمون بالسيف وحده، وإنما يختصمون بالألسنة أيضاً - وربما كانت بين رؤسائهم الكتب.
- عمرو بن العاص كتب عن أمر معاوية إلى ابن عباس رضي الله عنه يستعينه على أن يثوب الناس إلى العافية ويكفوا عن الحرب ويتقوا غوائلها.
- ابن عباس رضي الله عنه يرد عليه رداً عنيفاً مؤثراً؟
- القوم إذا كفوا عن القتال آخر النهار سمروا كما تعودت

العرب أن تسمر، فيتناشدون الشعر ويذكرون المآثر
القديمة والحديثة، ويذكرون بلاء من حَسُنَ بلاؤه
منهم، أو من عدوهم في أيامهم تلك.

- صدر من شهر صفر يمضي، والفريقان على هذه الحال،
لا يبلغ أحد الفريقين من خصمه أرباً.

- القوم من الفريقين يسأمون هذه الحرب المتقطعة الفاترة
ويتعجلون الكارثة.

- علي عليه السلام يسأم هذه المطاولة التي لا تغني عنه ولا عن
أحد شيئاً، وإنما تزيد الفتنة امتداداً، والشر انتشاراً.
وتضيف أحقاداً إلى أحقاد وحفيظة إلى حفيظة، وتضيع
أيامه وأيام أصحابه في قتال لا يقدم ولا يؤخر، وترجى
اجتماع الكلمة والتئام الشمل إلى أجل غير مسمى ولا
معروف، فعباً أصحابه للهجوم العام.

- معاوية يرى من علي عليه السلام ذلك فيفعل مثل ما فعل.

- الجيشان العظيمان يتزاحقان ويلتقيان صباح نهارهم كله وشرطاً من ليلهم دون أن يبلغ أحد من صاحبه ما كان يريد، ثم يصبحون فيقتتلون نهارهم كله أشد قتال وأعظمه نكراً.
- ميمنة علي تنكشف انكشافاً يبلغ الهزيمة أو كاد يبلغها، ويتضعضع ما كان يليها من قلب الجيش، وينحاز علي إلى ميسرته من ربيعة، فاستقتلت ربيعة من دونه، وقال قائلها:
- يا معشر ربيعة، لا عذر لكم بعد اليوم عند العرب، إن أصيب أمير المؤمنين وهو فيكم.
- ربيعة تتحالف على الموت.
- ميمنة علي عليه السلام تثوب بفضل الأشر ومن معه من أصحابه.
- جيش علي عليه السلام يلتأم كعهده أول النهار، ويقبل الليل فلم

يكف بعض القوم عن بعض وإنما يمضون في حربهم
تلك المجنونة، حتى استقبلوا صباح اليوم الثالث حتى
ظهر الضعف في جيش معاوية.

- أصحاب معاوية يكادون يبلغون فسطاطة، ومعاوية يهيم
بالفرار لولا أن ذكر قول ابن الأظنابة:

أبت لي همتي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن المريح
وإجثامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ وأحمي بعدُ عن عرض صريح
- هذا الشعر يرد معاوية إلى الثبات والصبر كما كان
يتحدث بذلك أيام العافية.

- الضحى يرتفع والقوم ماضون في حربهم تلك، لا
يرجحون ولا يستريحون، وأصحاب علي عليه السلام لا يشكون
في النصر، وإنهم لفي ذلك، وإذا بالمصاحف قد نشرت

ورفعت على الرماح من قِبَلِ أهل الشام، وإذا منادي
أهل الشام يقول: هذا كتاب الله بيننا وبينكم من فاتحته
إلى خاتمته، الله الله في العرب، الله الله في الإسلام، الله الله
في الثغور.

مَنْ لثغور الشام إذا هلك أهل الشام، وَمَنْ لثغور العراق إذا
تفأت أهل العراق؟

- أصحاب علي عليه السلام يرون المصاحف المنشورة ويسمعون
الدعاء إلى ما فيها من أمر الله، ويسمعون الدعاء إلى
العافية، فيبهر كثرتهم ما ترى وما تسمع، وإذا بالأيدي
تكف عن الحرب، وإذا القلوب تتردد ثم تذكر السلم
ثم تحبها ثم تطمع فيها، وإذا رؤساء الجيوش من
أصحاب علي عليه السلام يسرعون إليه يدعونه إلى قبول ما
يعرض القوم.

- علي عليه السلام يأبى على قومه، ويبين لهم أن القوم ليسوا

بأصحاب قرآن، ولم يرفعوا المصاحف تائبين إلى ما فيها، وإنما رفعوها كائدين يبعون بخصمهم الفتنة، ويبين لهم كذلك أنهم لم يبتكروا رفع المصاحف، وإنما عرفوا أنه رفع المصاحف لأهل البصرة قبل القتال فقلّده، وليس بعد القتال، وحين جرّعوا من الحرب ولم يشكوا في الهزيمة.

- أصحاب علي رضي الله عنه يلحون عليه في الاستجابة إلى ما يدعى إليه من كتاب الله، ويشتدون في الإلحاح حتى يندروا علياً رضي الله عنه بمفارقتهم، ومنهم من أنذره بتسليمه إلى معاوية.

- قوم آخرون يرون رأي علي رضي الله عنه، ولم ينخدعوا بكيد أهل الشام ويقولون: إنما حاربنا القوم على كتاب الله، لا نشك في أننا على الحق، وفي أن صاحبنا هو أمير المؤمنين، وفي أن عدونا هم الفئة الباغية، ولو شككنا في

شيء من ذلك ما قاتلنا ولا استباحنا سفك الدماء منا
ومنهم.

- أصحاب علي عليه السلام يختلفون، قوم يرون الكف عن القتال،
وقوم يرون المضي فيه، وإذا وقع الخلاف بين رؤساء
الجيش وبلغ هذا الحد، فليس ينتظر من الجيش نفسه
خير.

- علي عليه السلام يكف عن القتال نزولاً على رغبة أكثرية قومه.
- علي عليه السلام يرسل الرسل إلى معاوية، والرسل يسألونه عما
أراد إليه برفع المصاحف.
- معاوية يجيب الرسل: أردت أن نختار منا رجلاً،
وتختارون منكم رجلاً ونأمرهما أن يحكما بما في كتاب الله
فيما شجر بيننا من الخلاف.
- الرسل يعودون إلى علي عليه السلام بجواب معاوية، وكثرة
أصحاب علي عليه السلام ترضى وتسخط قلتهم.

- علي ﷺ ينزل عند رأي الكثرة كارهاً.

تعليق:

- طويت صفحة دولة الخلافة الراشدة، وصارت أمور

الناس في صفحة جديدة من التأريخ بيد الأمراء،

والرعية ممن كان لهم نصيب من الولاء والقراية للسلف

الأول.

- التربص ينفذ عنه أستار الخفاء، والمضمر يظهر إلى

العلن.

- الأهواء تفور والرغبات تشتجر.

- الأطماع تفلت من عقالها وكلها تطلب الغنائم إلى

صفوفها متحدية إرث الأسلاف الذين لم تحف دماؤهم

بعد، ولم تبعد بعهودهم الأيام.

- مال الحكام إلى القسوة والبطش والتقتيل، فالناس

يؤخذون بالشبهة ويتقلون بالظنة. ولجؤوا في بسط

سلطانهم إلى الإرهاب والعنف الذي يهدر كرامات
الناس وحقوقهم، وساسوا الناس بالخوف والذعر،
وشرعوا ألواناً من الحكم العرفي لم يقرها الإسلام ولم
يألفها المسلمون، وأسرفوا في الدماء والحقوق فأشاعوا
عنفاً لا حد له، وشناعات لا آخر لها، والتي إن دلت
على شيء فإنما تدل على أن أصحابها طغاة، يريدون أن
يحكموا الناس بالبغي الذي يملأ القلوب رعباً ورهباً،
ويغتصب منها الطاعة والخضوع للسلطان اغتصاباً،
وعلى هذه السياسة سخط الصالحون من أصحاب
رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان، ولكنهم كانوا
ينكرون في أنفسهم، وربما جمجموا ببعض النكير.

- عامة المسلمين الذين يرون هؤلاء الصحابة والتابعين
ويسمعون منهم ينكرون مثلهم ويجمجمون.

من صورة القسوة: حجر بن عدي الكندي

تعريف:

✽ حجر بن عدي الكندي من محبي الإمام علي عليه السلام المخلصين له الحب.

✽ شهد مع الإمام علي عليه السلام الجمل وصفين والنهروان.

✽ كره صلح الحسن عليه السلام ولامه في هذا الصلح.

✽ بايع معاوية كما بايعه غيره من الناس، ولكنه بقي على حب علي وآل بيته (عليهم السلام)، ولم يضطره ذلك إلى أن يؤمن لمعاوية وعماله بكل ما كانوا يفعلون.

✽ كان حجر رجلاً من صالحى المسلمين، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مع أخيه هانئ بن عدي فيمن وفد عليه من قومهما.

✽ شارك في حرب الشام، وأحسن فيها البلاء، وكان في

مقدمة الجيش الذي دخل مرج عذراء قرب دمشق.

✽ تحوّل إلى العراق وشارك في غزو بلاد فارس، وأبلى أحسن البلاء في نهاوند، ورابط في الكوفة مع المرابطين بعد الفتح.

✽ كان رجلاً حراً صادق الدين، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرضى عن السلطان إن أحسن، ويسخط عليه إن أساء.

✽ كان بعد صلح الحسن عليه السلام معارضاً للسلطان معاوية وعامله المغيرة بن شعبة، ولكنه لم يخلع يداً من طاعة، وإنما كان يذعن للسلطان، ويتنظر كما قال الحسن عليه السلام: أن يستريح برأ أو يموت فاجر، ولم يكن ينفي إنكاره، وإنما كان يبادي به المغيرة بن شعبة، وكان المغيرة يعفو عنه وينصح له ويحذره بطش السلطان.

✽ موت الحسن عليه السلام ومصير الأمر إلى الحسين عليه السلام دفع أهل الكوفة إلى أن يشتدوا في معارضتهم أكثر مما كانوا

- يفعلون من قبل وكان حجر رأس المعارضين.
- المغيرة يخطب في الناس ويتعرض لعلي وآل بيته (عليهم السلام).
- حجر يثب صائحاً وقد انتفخت أوداجه من الغضب:
- دع عنك السباب، وأدِ إلى الناس عطاءهم، فهذا أنفع لهم وأجدى عليهم من شتم الأخيار والصالحين.
- أصحاب حجر تأخذهم حمية المناصرة، فيتطايرون عيونهم شرر الغضب صائحين بمثل ما صاح به حجر، ويقولون بمثل مقالته.
- المغيرة يضطر إلى قطع خطبته، وينزل عن المنبر.
- جماعة من قوم المغيرة يلومونه، فيرد عليهم: لا عليكم، فقد قتلت حجراً بعملي.
- زياد يقبل والياً على الكوفة، وكان لحجر صديقاً فيقر به وينصح له، ولكن الأمر فسد بينهما حين قتل عربي^٩

مسلمٌ ذميًّا، فقضى زياد بالدية.

- حجر يغضب لقضاء زياد وأبى أن يسكت على إمضائه،
وقام الناس معه في ذلك حتى أشفق زياد من الفتنة إن
أمضى قضاءه، فأمر بالقصاص على كره منه، وكتب في
حجر وأصحابه إلى معاوية يشكو صنيعهم.
- حجر وأصحابه يشغبون على نائبه عمرو بن حريث،
وينكرون عليه كثيراً من أعماله، ويشددون في النكير.
- عمرو بن الحريث يكتب إلى زياد مستعجلاً عودته إلى
الكوفة، ويذكر له صنيع المعارضين.
- زياد بعد أن قرأ كتاب نائبه يأخذه الغضب ويتوعد
حِجراً قائلاً: ويل أمك يا حجر، وقع العشاء على
سرحان.
- زياد يعود إلى الكوفة.
- يخطب في الناس بالكوفة ويطيل خطبته.

- الناس يظهرون الملل من إطالة زياد في خطبته.
- حجر يصيح: الصلاة.
- زياد بمضي في خطبته غير آبه.
- حجر يصيح مرة أخرى: الصلاة.
- الناس يصيحون معه: الصلاة.
- زياد يهم أن يمضي في خطبته.
- حجر والناس يصيحون: الصلاة... الصلاة.
- زياد يقطع خطبته فينزل ويصلي ويتفرق الناس.
- زياد يرسل جماعة من وجوه الكوفة ويأمرهم أن يأتوا حجراً وأن يكفوا عنه من يعضده من عشائريهم، وأن يردوه عن هذه الطريق التي أخذ في سلوكها.
- وجوه أهل الكوفة لم يبلغوا من أمر حجر شيئاً.
- وجوه أهل الكوفة يعودون إلى زياد فينبئونه من أمر حجر بأشياء ويكتمونه أشياء أخرى، ويطلبون منه أن

- يستأنني بحجر فلم يسمع منهم.
- زياد يرسل من يدعو له حجراً.
- حجر يمتنع على زياد.
- زياد يأمر الشرطة أن يأتوه بحجر.
- يحدث تناوش بين الشرطة وأصحابه.
- حجر يستخفي فلم يقدر عليه زياد.
- زياد يأخذ محمد بن قيس بن الأشعث زعيم كنده، ويأمر بسجنه، ويتوعده بالقتل والمثلة إن لم يأت به بحجر.
- محمد بن قيس يأخذ أماناً لحجر على نفسه حتى يرسله إلى معاوية فيرى فيه رأيه.
- زياد يعطيه الأمان.
- حجر يسلم نفسه.
- زياد يأمر بإلقاء حجر في السجن.
- زياد يتعقب أصحاب حجر حتى جعل في السجن مع

- حجر ثلاثة عشر رجلاً بعد خطوب ومحن.
- زياد يطلب إلى أهل الكوفة أن يشهدوا على حجر أصحابه.
 - شهد قوم وأعرض آخرون، لكن زياد رفض شهادة الشهود.
 - أبو بردة بن أبي موسى الأشعري يكتب إلى زياد شهادة بأن حجراً وأصحابه قد خلعوا الطاعة، وفارقوا الجماعة، وطعنوا في الخلافة وهموا بإعادة الحرب.
 - زياد يرضى بهذه الشهادة، ويطلب إلى الناس إمضاءها فأمضاها خلق، وتخرج آخرون، ولم يتخرج أن يكتب مع الشاهدين أسماء نفر لم يشهدوا ولم يحضروا هذه الشهادة.
 - هؤلاء الشهود منهم من برأ نفسه أمام الناس، ومنهم من كتب إلى معاوية يبرئ نفسه من هذه الشهادة.
 - شريح القاضي ممن كتبوا إلى معاوية يبرئون أنفسهم من الشهادة.

- شريح القاضي يصف حجراً بأنه رجل صالح من المسلمين، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم ويحج ويعتمر وأن دمه حرام.
- حجر وأصحابه يُحملون إلى معاوية.
- معاوية يأمر بالآلا يدخلوا دمشق وأن يحبسوا بمرج عذراء.
- حجر يقول بعد أن عرف أنه بهذه القرية: والله إني لأول مسلم نبخته كلابها، وأول مسلم كبر بواديها.
- معاوية يطلق سراح بعض الرهط ممن مع حجر ويقتل بعضهم، ومنهم من دفن حياً.
- حجر يقتل بضرب عنقه.
- صدى مقتل حجر يتردد في أنحاء البلاد، ويزيد في إشعال نار المعارضة بين الناس.

الحسين عليه السلام والخلافة

لما نشأ الحسين عليه السلام وترعرع وشاع ذكره وعرف فضله، كان أنصاره يرجون له الخلافة بعد معاوية لأن الحسن عليه السلام مات قبله، وكان قد اشترط عليه أن تكون الخلافة له بعده. فلما مات معاوية سنة ٦٠هـ، طمع أنصار الحسين في ولايته، لكن يزيد بن معاوية كان قد تولى الخلافة بعد أبيه.

- يزيد يؤمر:

✽ عبید الله بن زياد على البصرة.

✽ النعمان بن بشير على الكوفة.

✽ الوليد بن عتبة على المدينة.

✽ عمرو بن العاص على مكة.

- يزيد وقد تولى الخلافة يطمع في بيعته النفر الذين أبوا على

معاوية الإجابة إلى بيعته حين دعا الناس إليها.

- يزيد يكتب إلى الوليد بن عتبة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة.

أما بعد، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله
وستخلفه وخوله ومكن له، فعاش بقدر ومات بأجل فرحه الله،
فقد عاش محموداً ومات برّاً تقيّاً، والسلام.

- يزيد يكتب إلى الوليد في صحيفة كأنها أذن فأرة
لصغرها.

- أما بعد، فخذ حسيناً، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن
الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة، حتى يبايعوا،
والسلام.

- الوليد بن عتبة يبعث إلى مروان بن الحكم يدعوه إليه
بعد أن أتاه نعي معاوية الذي فطع به وكبر عليه.

- مروان عند قدومه إلى المدينة قدمها متكارهاً لوجود
الوليد فيها.

- الوليد يشتم مروان عند جلسائه.
- الشتم يبلغ مروان فيضمّره.
- الوليد عندما وصله نعي معاوية عظم عليه هلاكه وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط (حسين عليه السلام وعبدالله بن عمر وعبدالرحمن ابن الزبير)، بالبيعة.
- الوليد يفزع إلى مروان ويدعوه ويقرأ عليه الكتاب الذي جاءه بذلك.
- مروان: حينما سمع ما جاء بالكتاب استرجع وترحم على معاوية.
- الوليد يستشير مروان في الأمر، ويقول له: وكيف ترى أن تصنع؟
- مروان: إني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبو قدمتهم فضربت

أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموت معاوية، وثب كل امرئ منهم في جانب وأظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه، لا أدري، أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أن تولى على الناس، إلا أن يدفع عليه هذا الأمر عفواً.

- الوليد يرسل عبدالله بن عمرو بن عثمان، وهو إذ ذاك (غلام حدث) إليهما يدعوهما.

- الغلام يذهب إليهما فيجدهما جالسان في المسجد في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، ولا يأتياه في مثلها فقال: أجبيا، الأمير يدعوكما.

- الحسين عليه السلام وعبدالله بن الزبير عليه السلام يردان عليه: انصرف... الآن نأتيه.

- عبدالله بن الزبير عليه السلام للحسين عليه السلام: ظن فيما تراه. بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها.

- الحسين ﷺ: قد ظننت أن طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذ البيعة قبل أن يفسحوا في الناس الخبر.
- الزبير: وأنا ما اظن غيره وقال: فما تريد أن تصنع؟
- الحسين ﷺ: أجمع فتياي الساعة ثم أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه، ثم دخلت عليه.
- الزبير يقول: فإني أخاف عليك إذا دخلت.
- الحسين ﷺ: لا آتية إلا وأنا على الامتناع قادر.
- الحسين ﷺ: يجمع مواليه وأهل بيته، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد.
- الحسين ﷺ: يخاطب أصحابه: إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا، فاقتحموا عليّ بأجمعكم، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم.
- الحسين ﷺ: يدخل على الوليد ويسلم عليه بالأمر، ومروان جالس عنده.

- الحسين عليه السلام يقول، كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية:

الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما.

- الوليد ومروان ساكتان فلا يجيباه في هذا بشيء.

- الحسين عليه السلام: يجلس...

- الوليد يقرئه الكتاب وينعى له معاوية ويدعوه إلى البيعة.

- الحسين عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، ورحم الله معاوية وعظم لك الأجر، أما ما سألتني من البيعة، فإن مثلي لا يعطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن تظهر على رؤوس الناس علانية.

- الوليد: أجل.

- الحسين عليه السلام: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة، دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً.

- الوليد يقول - وقد كان يحب العافية: انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.
- مروان يقول للوليد: والله لئن فارقت الساعة ولم يبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتل بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.
- الحسين عليه السلام واثباً: يا ابن الزرقاء! أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت.
- الحسين عليه السلام يخرج ويمر بأصحابه حتى أتى منزله.
- في بيته أخذ الحسين عليه السلام يستعرض الموقف ويفكر فيه ويقلب وجوهه، فهو قد رفض - من قبل - في أيام معاوية أن يبايع يزيد، لأنه لم يكن أهلاً للخلافة، بل إنه أخذ يهدد معارضييه ويتوعدهم وينذرهم بضرب الأعناق وسفك الدماء إن لم يخضعوا له ويبايعوه،

وذلك مما يزيد المخاوف منه ويؤكد خطر مبايعته، كيف
يزكي يزيد أمام المسلمين ويشهد له بأنه الرجل الذي
يصلح للخلافة وصاحب الحق فيها والقدرة عليها، هذا
فضلاً عن أن ملك يزيد لم يقم على أي شيء يرضاه لدينه
أو لشرفه أو للأمة الإسلامية، كما أنه لم يزل يذكر موقف
مروان ابن الحكم منه أمام الوليد وتهديده له.

هنا بدأ يستشعر الخطر على حياته إذ أن يزيد لن يتركه إلا إذا
أرغمه على البيعة.

كل ذلك فيه الحسين عليه السلام وقلب فيه وجوه الرأي، فاستقر
عزمه على ألا يخالف ضميره وألا يخون أمانة المسلمين بمبايعة
يزيد.

- مروان يقول للوليد: عصيتني، لا والله لا يمكنك من
مثلها من نفسه أبداً.

- الوليد: وبخ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها

هلاك ديني، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس
وغربت منه من مال الدنيا وملكها، وأني قتلت حسيناً،
سبحان الله أقتل حسيناً أن قال لا أبايع؟ والله إني لأظن
امراً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان يوم القيامة.

- مروان يرد عليه: فإذا كان هذا رأيك، فقد أصبت فيما
صنعت.

- الوليد يعاود الكرة ويرسل رجاله إلى الحسين عليه السلام عند
المساء.

- الحسين عليه السلام يقول لهم: أصبحوا ثم ترون ونرى.

- الرجال يكفون عنه تلك الليلة ويلحون عليه.

- الحسين عليه السلام يخرج من تحت ليلته... وهي ليلة الأحد

ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠ هـ. خرج بينه وإخوته
وبني أخيه وجلّ أهل بيته إلا محمد بن الحنفية.

- محمد بن الحنفية يتخلف عن مرافقة الحسين عليه السلام إلى

مكة، ويقول للحسين عليه السلام.

يا أخي أنت أحب الناس إليّ وأعزّهم علي، ولست أدخر
النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد
بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى
الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك،
وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك،
ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصرًا
من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم
طائفة معك، وأخرى عليك فيقتتلون فتكون لأول الأسنة، فإذا
خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً وأذلاً أهلاً.

- الحسين عليه السلام يرد عليه: فإني ذاهب يا أخي.

- محمد بن الحنفية مخاطباً الحسين عليه السلام: انزل مكة، فإن
اطمأنت بك الدار فسيل ذلك، وإن نبت بك، لحقت
بالرمال، وشَعَفَ الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى

تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي،
فإنك أصوب ما يكون رأياً وأحزمه عملاً، حتى
تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور عليك أبداً
أشكل منها حين تستدبرها استدباراً.

- الحسين عليه السلام: يا أخي، نصحت فأشفقت، فأرجو أن
يكون رأيك سديداً موفقاً.

منظر جزئي

- روى أبو سعد المقبري قائلاً:

نظرت إلى الحسين داخلاً مسجداً المدينة، وإنه ليمشي وهو
معتمد على رجلين، يعتمد على هذا مرة وعلى هذا مرة، وهو
يتمثل بقول ابن مفرغ:

لا دَعَرْتُ السَّوْمَ فِي قَلْقِ الصَّبِّ سَاحِ مَغِيرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدَا
يَوْمَ أُعْطِيَ مِنَ الْمَهَابَةِ ضِيَاءً وَالْمَنَايَا يَرُصُّدَنِي أَنْ أَحِيدَا
وكان هذا منه قبل يومين من سيره إلى مكة.

منظر

استقر رأي الحسين عليه السلام على مغادرة المدينة، بعد أن ترجح له أن بقاءه سيجعله بين أمرين أحلاهما مر، فإما أن يبايع مكرهاً من لا يؤمن بصلاحيته اميراً خيراً أمة أخرجت للناس، طلباً للسلامة، ودرءاً للظلم والعدوان ومجانبةً للأذى، وإما أن يأبى البيعة إبراءً للذمة، وإرضاء الله ورسوله، فيقع به من العدوان ما قد يصل إلى سفك دمه، وضرب عنقه.

- ولقد رأى الحسين عليه السلام كيف أن الوليد بن عتبة - والي المدينة - أرسل بعد انصرافه من عنده إلى عبدالله بن الزبير، ليبايع ليزيد، وألح عليه بكثرة الرسل والرجال في إثارة الرجال، حتى بلغ به الأمر إلى حد تهديده بالقتل إن لم يلبّ دعوته، ولكن ابن الزبير أبى أن يستجيب وقال لهم:

والله لقد استربت بكثرة الإرسال، وتتابع هذه الرجال، فلا

تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره.

- رأى الحسين عليه السلام كل ذلك وسمع به، فأيقن أنه مطالب ببيعة يزيد طوعاً أو كرهاً، وإلا ضربت عنقه، كما أشار بذلك مروان بن الحكم، فلم يكن أمامه - وهو الفقيه في دين الله العارف بكتابه وسنة رسوله - إلا أن يهاجر من المدينة استجابة لقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ تَوْفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَا وَنَهُمُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ قَالُوا لَيْتَك عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿١٩﴾﴾

[النساء: ٩٧ - ٩٩].

- وما كان للحسين عليه السلام وهو سليل بيت النبوة، وريب العزة والكرامة. أن يرضى لنفسه مثل هذا المصير، أو أن

يعيش مرغماً وأرض الله واسعة. وما كان له أن يتأخر
 عن الهجرة، فراراً بدينه، وحفاظاً على حرите وكرامته،
 والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ
 مُرْعَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
 يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾
 [النساء: ١٠٠].

فالإسلام لا يرضى لصاحبه غير العزة والكرامة، ولا يقبل
 له المقام بدار ذل أو هوان، مادام فيه عرق ينبض أو نفس يتردد.
 ومن أولى من الحسين ﷺ بالحرص على كل هذه المعاني
 والعمل بها؟ وهو أشرف من كان على وجه الأرض نسباً
 وأعلاهم مقاماً وأصدقهم إيماناً وأعمقهم يقيناً.

- صح عزمه على مغادرة المدينة، وهي من أحب البلاد
 وأثرها عنده وأدناها إلى قلبه... إلى البلد الحرام والبيت
 الحرام.

- ولم يكن أمام الحسين عليه السلام في عزمه على الهجرة من المدينة المنورة، إلا طريق واحد يؤدي به إلى أم القرى... البلد الحرام، الذي من دخله كان آمناً، والذي به البيت الحرام، الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، ففي رحاب مكة المكرمة، يستطيع الحسين عليه السلام ومن معه من أهل البيت المطهر، أن يقضوا البقية الباقية من حياتهم في هدوء واطمئنان، وفي ظل البيت العظيم يمكنه أن يتزود بما يقربه إلى الله تعالى، والله خير وأبقى.
- لم يتخلف عن الهجرة مع الحسين أحد من أهله سوى أخيه محمد ابن الحنفية، فإنه اعتذر عن الخروج، ووقف من الحسن عليه السلام موقف الناصح الأمين.
- أخذ الحسين عليه السلام من نصيحة أخيه ما يتفق مع رغبته الأكيدة في السلم، وكراهيته الشديدة لسفك دماء المسلمين، فخرج مع أبنائه وأهل بيته، وفيهم كانت

العقيلة زينب التي استأذنت زوجها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب في الهجرة مع الحسين عليه السلام لتكون له عوناً وملاذاً، ولم يتردد زوجها عبدالله في الأذن، لأنه يعلم أن الحسين عليه السلام في خطر شديد وزينب أولى بالوقوف معه، كما استأذن عبدالله بن جعفر السيدة زينب في اللحاق بركب الحسين عليه السلام لأنه كان مريضاً على أمل أن يلحق بهم فيما بعد.

- في الثامن والعشرين من رجب سنة ٦٠ هـ، خرج الحسين عليه السلام متلفعاً ظلمة الليل، وهو يتلو قول الله تبارك وتعالى حكاية عن موسى عليه السلام، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]. ولما بلغ مكة المكرمة دخلها وهو يتلو قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

- وفي تلاوة الحسين عليه السلام لهاتين الآيتين، حين خروجه من المدينة المنورة، ودخوله مكة المكرمة، ما يبين بوضوح لا غموض فيه حقيقة الهدف الذي من أجله غادر المدينة، وهي من أحب البلاد إليه، وحقيقة الأمل الذي ينشده من اتجاهه إلى مكة، فهو لم يكن قط طامعاً في خلافة، أو ساعياً إلى فتنة، كما يظن بعض الكتاب والمؤرخين، إنما خرج خوفاً من عدوان الظالمين، وطمعاً في أن يهديه الله تعالى سواء السبيل.
- كان ظن الحسين عليه السلام حينما غادر المدينة، إباءاً للذل والإرغام، وسعيّاً إلى الأمن والسلامة، وهو في كل ذلك، كان محقاً كل الحق، لا سبيل إلى مؤاخذته، ولا محل لنقده أو اتهامه.
- كانت مغادرة الحسين عليه السلام قدراً مقدوراً، ما كان له أن يتأخر عنه، أو أن يتردد، ولم يكن بحال من الأحوال

لغرض دنيوي، وإنما كان استجابة لله تعالى، وانصياعاً
منه لأمره، وحرصاً على طاعته ومرضاته، وهجرته
خالصة في سبيله وابتغاء وجهه.

- وبلغ من إيمان الحسين عليه السلام بربه، وتوكله عليه، أنه في
مغادرته المدينة إلى مكة لزم الطريق الأعظم، ولم يفكر
في أن يسلك غيره.

فلما قال له أهل بيته: لو تجنبت الطريق الأعظم، كما فعل ابن
الزبير، لا يلحقك الطلب، أجاب عليه السلام: لا والله لا أفارقه حتى
يقضي الله ما هو أحب إليه.

وهكذا كان عليه السلام واضحاً صريحاً في كل تصرفاته، يعمل في
ضوء النهار، لا يعرف مداراة ولا خداعاً، اكتفاء بكونه على
الحق، ورضاء بأي قضاء يبرمه الله، وأي مصير ينتهي إليه أمره.

- سار الحسين عليه السلام إلى مكة ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه
وجلُّ أهل بيته عليهم السلام.

وفي جانت كانت عقيلة بني هاشم زينب تسير مع جماعة
النساء وتنتظر انبثاق نور القمر، كيما يبدد الوحشة التي رانت
عليها على الدنيا.

- وفي مسيره إلى أم القرى التقى الحسين عليه السلام بعبدالله بن
مطيع، فقال له عبدالله: جُعلت فداك.. أين تريد؟.

- الحسين عليه السلام يجيبه: أما الآن فأريد مكة، وأما بعدها فإني
أستخير الله.

- عبدالله يرد عليه: خار الله لك وجعلنا فداك، فإذا أنت
أتيت مكة، فإياك أن تقرب الكوفة، فإنها بلدة مشؤومة،
بها قتل أبوك، وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي
على نفسه، الزم الحرم، فإنك سيد العرب، لا يعدل بك
والله أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كل
جانب، لا تفارق الحرم، فوالله إن هلكت لنسترقنَّ
بعدك.

- وصل الحسين عليه السلام إلى مكة، وأميرها يومئذ عمرو بن سعد ابن العاص، فقال له الحسين عليه السلام: ((إنا جئنا عواذاً بالبيت)).

- بهذه العبارة القاطعة، والكلمات الواضحة، أعلن الحسين هدفه من قصده مكة وكأنه عليه السلام يقول: جئنا عواذاً بالبيت - البيت الحرام - الذي من دخله كان آمناً من كل بغي أو طغيان، محصناً من كل ظلم أو عدوان، جئنا عواذاً بالبيت، لنبتعد بأنفسنا عن عواصف السياسة وأهوائها، ومطامع الولاية وأوزارها، وأعاصير الفتن وتقلباتها.

جئنا عواذاً بالبيت، فدعونا نقضي البقية في سلام بجوار بيت الله الحرام، نتزود من طاعة الله، ونعظم شعائره حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

تعليق ١ :

زهد الحسين في الإمارة

وإذ قال الحسين عليه السلام: جئنا عواذاً بالبيت، فالقول ما قاله،
لأنه الصادق الأمين، الذي لا مجال للشك في قوله، ولأنه لو
أراد بهجرته منازعةً على الخلافة، أو سعيًا إلى السلطان، ما قصد
مكة المكرمة، وهو يعلم أن بها أميراً من أمراء بني أمية، معروفًا
بالتجبر والطغيان، ذلك هو عمر بن سعيد بن العاص، ولكنه
مع علمه بذلك اتجه إليها، ثقةً منه أنه ما دام لن يتعرض لقوم في
دنياهم، فإنهم لن يتعرضوا له في العمل لدينه وعبادة ربه.

ولو كان الحسين عليه السلام يريد في الأرض علواً أو سلطاناً، لكان
أولى به أن يسعى إلى ذلك بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، اذ كتب إليه
أهل الكوفة يدعونه إلى الخروج، ويعدونه النصر، وهو يأبى
الاستجابة لهم، أو المبالاة بهم، حتى عدلوا عنه إلى أخيه محمد بن
الحنفية، فكرروا عرضهم عليه، فلما علم الحسين عليه السلام بذلك من

أخيه ﷺ لم يتردد أن يقول له مستنكراً: إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا، ويستطيّلوا بنا، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا.

تعليق ٢:

لو كان الحسين ﷺ يريد أن ينازع يزيداً الخلافة، لكان في استطاعته ذلك حينما أخذت البيعة ليزيد في عهد معاوية، على غير رضا من كثير من المسلمين، وفيهم أكابر الصحابة، ولكن الحسين ﷺ كان من الفقه بدرجة لا يخفى عليه أن اعتراضه - ومن كانوا على رأيه على البيعة - لا يمنع من إتمامها، فاكتمى بالسكوت، فلم يبايع، إرضاء للضمير، وإبراء للذمة، ولم يخالف حرصاً على وحدة الصف واجتماع الكلمة، وضناً بدماء المسلمين أن تسفك في فتنه لا يعرف مداها ولا تعلم نهايتها.

ومن أعجب العجب أن الكثير ممن تناولوا هذه الناحية في بحوثهم وكتاباتهم، ظنوا أن الحسين ﷺ إنما كان قد خرج للمطالبة بالخلافة، واستدلوا على ذلك بأقوال بعض من أسدوا

إليه النصيحة، بعدم الهجرة دون أن يضعوا في الميزان أقوال الحسين عليه السلام وهو أعلم بما في نفسه من غيره، بالإضافة إلى أن طبيعته الصريحة لا تحتمل مداراة أو تحايلاً.

والمأمل في أقوال الحسين عليه السلام، التي ثبت صدورها عنه، وبرواية الثقات، لا يجد ذكراً لهذه الأوهام والخيالات.

ولقد كان في إمكاننا - لو أن الحسين عليه السلام كان يسعى فعلاً إلى الخلافة - أن نجد من الأسباب ما يبرر موقفه، وأنه حتى لو كان مخطئاً في هذا السعي، فإنه في نهاية الأمر لا يعدو أن يكون مجتهداً، له أجره خطئه، فكيف وهو عليه السلام لم يكن على وجه الأرض من يفضلّه شرفاً وحسباً، أو يرجحه علماً وفقهاً، وإيماناً و يقيناً، وهو بهذه الصفات السامية، فضلاً عن مقامه من رسول الله صلى الله عليه وآله، كان أحق بالخلافة من يزيد، ولا وجه مطلقاً للمفاضلة بينهما، نقول: كان في إمكاننا أن نبرر هجرة الحسين - مطالباً بالخلافة - بمثل هذا وغيره، ولكننا لسنا في حاجة إلى شيء من ذلك، لأن

الحقيقة الواقعة تقرر خلافه، وتؤكد أن السعي إلى الخلافة لم يخطر ببال الحسين عليه السلام، وأنه تركها زهداً فيها وتسامياً عنها.

تعليق ٣:

مكانة الحسين بين أهل مكة

وصل الحسين عليه السلام إلى أم القرى في الثالث من شعبان، سنة ستين من الهجرة، ولم يكن مضى على تولي يزيد للخلافة أكثر من أسبوعين، فتلقاه أهل مكة بالحفاوة والإجلال، وأحاطوه بالمحبة والولاء، وكان بالنسبة لهم ملء الأسماع والأبصار.

ولا عجب، فالحسين عليه السلام هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس على وجه الأرض يومئذ من يساميه شرفاً أو حسباً، أو يدانيه مكانة أو مقاماً.

وهكذا عكف الناس على الوفود إليه، والقدوم عليه، والالتفاف حوله، والاستماع لحديثه، وقد رأوا فيه ما يذكرهم بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، خَلْقاً وَخُلُقاً، وكرماً وفضلاً، وعِلْماً ونوراً.

وطبيعي أن لا يطمئن أنصار يزيد لمقام الحسين عليه السلام بالبلد الحرام، وهم يرون الناس لا يزدادون له إلا تشريفاً وتعظيماً وإجلالاً وتكريماً، ليس أهل مكة وحدهم، بل جميع الناس من مختلف الآفاق، الذين وفدوا من مشارق البلاد ومغاربها، لقضاء العمرة، وزيارة البيت العتيق.

وزاد من خطورة الموقف في نظرهم، معرفة الناس بامتناعه وابن الزبير عن مبايعة يزيد، ووصول هذه الأنباء إلى الكوفة، وبها أكثرية أنصار الحسين عليه السلام ممن حاربوا مع علي كرم الله وجهه، واجتمعوا بعده حول الحسين عليه السلام إلى أن تنازل عن الخلافة إلى معاوية.

وهكذا كانت مكانة الحسين عليه السلام بمكة تزداد رسوخاً يوماً بعد يوم، في الوقت الذي بدأ فيه أهل الكوفة من أنصاره يتحركون من جمودهم الذي ارتضوه طيلة خلافة معاوية، حيث اطمأنوا إلى عدالته، وارتاحوا لسيرته، فلما مات معاوية، وخلفه

يزيد، وخرج الحسين عليه السلام إلى مكة المكرمة، اجتمعوا في منزل

سليمان ابن صرد، فقال لهم:

إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته،
وقد خرج إلى مكة، وأنتم أنصاره وأنصار أبيه، فإن كنتم
تعلمون أنكم ناصروه، ومجاهدوه عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم
الوصل والفشل، فلا تغروا الرجل من نفسه. قالوا: لا، بل
نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، قال: فاكتبوا إليه.

ومع أن الحسين عليه السلام لم يكن يفكر في شيء من ذلك، فإن هذه
الحركة بعثت القلق في نفوس أصحاب يزيد، ولا سيما أنه في
الوقت نفسه، بدأ عبدالله بن الزبير يقف موقف التحدي والعداء
الصريح.

تعليق:

تعنت يزيد في موقف من الحسين ﷺ

وقد كان في استطاعة يزيد - وقد أبى الحسين ﷺ أن يغير موقفه معه، وأصرّ على عدم مبايعته، وآثر الهجرة من مدينة الرسول ﷺ مع ولده وأهله إلى البلاد الحرام، فراراً بدينه، وحفاظاً على كرامته، حتى لا يرغم على أمر لا يرضاه ضميره، ولا تطمئن إليه نفسه.

كان في استطاعة يزيد أن يترك الحسين ﷺ وشأنه، ما دام لا يبغي خلافاً، ولا يشكل خطراً، ولكن يزيد لم تكن له حنكة أبيه معاوية، كما لم تكن له معرفته بأقدار أهل الفضل السابقين من أصحاب رسول الله ﷺ، وما يجب عليه نحوهم من توفير وتعظيم، وفي مقدمتهم الحسين ﷺ، رغم أن معاوية طالما أوصاه به خيراً، حتى قال له قبل وفاته:

((انظر الحسين بن علي وابن فاطمة، فإنه أحب الناس إلى

الناس، فصلِّ رَحْمَه، وارفق به يصلح لك أمره)).

ولكن يزيد أخذته العزة بالإثم، فعزل الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتهاونه في أمر الحسين عليه السلام، حتى استطاع الخروج إلى مكة، وأضافها إلى أمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص، فقدم المدينة في رمضان، وكان متأبياً متكبراً، فأخذ يعد الجيوش لمحاربة ابن الزبير بمكة، استجابة منه لتعليقات يزيد إليه، دون مبالاة بحرمة البيت الحرام والبلد الحرام، وسارت القوات المعبأة في ألفين من الرجال، بقيادة عمرو بن الزبير ومعه أنيس ابن عمرو الأسلمي، وعسكروا بالحرف، ولما علم بذلك مروان بن الحكم، جاء إلى عمرو بن سعيد وقال له: لا تغز مكة، واتق الله، ولا تحل حرمة أهل البيت، وخلوا ابن الزبير، فقد كبر، وله بضع وستون سنة، والله لئن لم تقتلوه ليموتن، فانبرى عمرو بن الزبير قائلاً: والله لنقاتله، ولنغزونه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم.

وتقدم الصحابي الجليل أبو شريح الخزاعي رضي الله عنه بنصيحة مماثلة إلى عمرو بن سعيد حيث قال له: ائذن لي أيها الأمير، أحدثك قولاً قام به النبي صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح (أي ثاني يوم فتح مكة) سمعته أذنائي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناى حين تكلم به، حمد الله واثنى عليه ثم قال: ((إن مكة حرّمها الله، ولم يجرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخّص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا: قد أُذِنَ لرسوله ولم يؤذن لكم، وإنما أُذِنَ لي فيها ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم، كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الحاضر)).

- الوالي عمرو بن سعيد، يجيب أبا شريح الخزاعي رضي الله عنه إجابة المتكبر، المستهتر بحدود الله حيث قال: نحن أعلم بذلك منك يا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصياً، ولا فارّاً بدم، ولا فارّاً بخربة.

وهذا الرد حق يراد به باطل، لأن عبد الله بن الزبير لم يكتب
أمرًا يوجب قصاصاً، ولم يسفك دمًا يوجب حداً، بل هو
كصحابي من أصحاب رسول الله ﷺ أفضل من يزيد بن معاوية،
وأولى بالخلافة منه، وقد بويع بها قبله.

- وهكذا ضرب عمرو بن سعيد عرض الحائط بالنصائح
التي أسديت إليه، وسار أنيس بن عمرو بمن معه من
الرجال، في طريقهم إلى مكة حتى نزل بذي طوى،
فأرسل ابن الزبير إليهم عبد الله بن صفوان فيمن معهم
من مكة، فهزمهم أقبح هزيمة.

تعليق ٥:

موقف الحسين ﷺ من أحداث مكة

كل هذه الأحداث تابعت، والحسين ﷺ بمكة يراقبها عن
كثب، ويتابعها باهتمام، لما لها من صلة وثيقة بموقفه... فإنه ما
قصد البلد الحرام إلا ظناً منه أنه يجد فيه الأمن الذي يفتقده،

والاستقرار الذي ينشده، ولكنه رأى عكس ما كان يتوقع،
وأيقن أن عمرو بن سعيد، وقد حاول فعلاً استباحة البلد الحرام
في سبيل إرغام عبدالله بن الزبير رضي الله عنه فإنه لن يتورع عن
استباحتها في سبيل ارغامه، ولو تعلق بأستار الكعبة.

ولقد كان لهذه الأحداث أثرها العميق في نفس الحسين رضي الله عنه
وكانت من أهم البواعث - إن لم تكن أهمها فعلاً - التي دفعت
به إلى التفكير في التحول عن مكة، ومغادرتها.

لقد أشفق رضي الله عنه على البلد الحرام أن يكون سبباً في هتك
حرمة، وإهدار قدسيته، وأشفق على أهلها الآمنين. السالمين أن
تستباح أموالهم، وتهدر دماؤهم، فلا بد له إذن من مغادرة مكة
المكرمة، مهما كانت الأخطار التي تحيط به، والنهاية التي تنتظره،
مفضلاً التعرض للهلاك، على أن يمس البلد الحرام بسببه بأي
امتهان أو عدوان.

الباعث الحقيقي لخروج الحسين ﷺ:

هذا هو الباعث الحقيقي والعامل القهري الذي دفع الحسين ﷺ إلى التفكير بمغادرة البلد الحرام، بعد أن استقر به وبأهله المقام بها.

وقد تواترت الأخبار التي تناقلها المؤرخون والمحدثون في هذا الصدد، وكلها يقوّي بعضها بعضاً، ويؤكد الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أن الحسين ﷺ حينما فكر في مغادرة مكة، كان الدافع الأول والأهم في ذلك، هو شعوره بالأخطار تحيط به، وتورعه عن أن يصاب البلد الحرام والبيت الحرام بسببه بأي سوء.

- عبدالله بن عباس ﷺ يقول:

استشارني الحسين بن علي ﷺ في الخروج - أي من مكة - فقلت له: لولا أن يُزرى بي وبك، لنشبتُ يدي في رأسك، فلم أتركك تذهب.

فكان أن رد فقال: لأن اقتل في مكان كذا وكذا.. أحب إليّ
من أن أقتل بمكة وتُستحلّ بي، فكان هذا الذي سلى نفسي عنه.
تعليق ٦:

الحسين عليه السلام في مفترق الطرق

أحس الحسين عليه السلام بأن الاستقرار الذي كان يسعى إليه
أوشك أن يصبح سراباً، وأن الأمن الذي كان يطمع فيه يزداد
بعداً، وأن العواصف التي حاول الابتعاد عنها، تأبى الأقدار إلا
أن تدفع به في تياراتها العنيفة.
وبالرغم من أنه لم يكتب إلى أحد، ولم يدعُ إليه أحداً، فقد
بدأت الكتب تأتي إليه متتابعة، والوفود تسير إليه من كل فج
عميق، والكل يستحثونه على الاستجابة لهم، والتقدم لقيادتهم،
في الطريق إلى إعلاء كلمة الله، أو الاستشهاد في سبيله.

سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.
أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي
انتزى على هذه الأمة، فانتزع حقوقها، واغتصبها أمورها،

وغللبها على فيئها، وتآمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود، وبعد: فإنه ليس علينا إمام فأقدم علينا، لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى، فإن النعمان بن بشير في قصر الإمارة، ولسنا نجتمع في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا، أخرجناه من الكوفة، وألحقناه بالشام إن شاء الله، السلام ورحمة الله عليك.

- ولم يمض قليل حتى بعث إليه أهل الكوفة وفداً من أعيانهم ومعهم نحواً من مئة وخمسين صحيفة، الصحيفة من الرجل ولاثنين والثلاثة والأربعة. ثم كتبوا إليه يستحثونه ويقولون:

أما بعد: فحيهلاً، فإن الناس ينتظرونك، ولا نرى في غيرك، فالعجل العجل، والسلام عليك.
ثم كرروا الكتابة إليه قائلين:

أما بعد: فقد اخضر الجنب^(١)، وأينعت الشمار، وطمت
الجمام^(٢)، فإذا شئت فأقدم على جند لك مجند والسلام عليك.

واجتمع عند الحسين عليه السلام الكثير من الرسل والكتب، ولكنه
مع ذلك لم يحرك ساكناً، وظل زهاء ثلاثة أشهر يفكر في الأمر،
ويتابع الأحداث، ويزن الأمور بميزان الحق والإيمان، متحريراً
فيها خير الإسلام، ومستهدفاً صالح المسلمين.

إن الأمر جد خطير، إنه يتعلق بدماء المسلمين، والحسين عليه السلام
أشد الناس حرصاً على حقنها، ويتعلق بمصير الأمة والحسين عليه السلام
من أصدق العاملين على إعلاء شأنها وتوطيد سلطانها.

- وجد الحسين عليه السلام نفسه في مفترق الطرق، ولا بدَّ له من
أن يختار إحداها.

(١) اجناب الأرض.

(٢) ارتفع وفاض.

لقد أصبحت مكانته في مكة أقوى من أن تززعها قوة، لا سيما بعد أن ظفر بكل السرايا والبعوث التي أرسلت لقتاله، وانتصر عليها، فارتدت مهزومة مدحورة، وعظم شأن ابن الزبير بالحجاز، واشتهر أمره، وبعد صيته، ومع ذلك فليس هو معظماً عند الناس مثل الحسين عليه السلام، بل إن الناس ميلهم إلى الحسين عليه السلام، لأنه السيد الكبير، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

- ابن الزبير عليه السلام يعرض على الحسين عليه السلام أن يبايعه فلا يخالف له أمراً.

ولا شك أن الحسين عليه السلام لو قبل ذلك لكان في منعه وقوة يجعلانه في أمن من الأخطار، ولو إلى حين.

- ولكن إيمان الحسين عليه السلام وورعه كانا أعظم من ذلك. إنه لم يكن طامعاً في عرض من أعراض الدنيا، ولو كان كذلك لقبل ما عرضه ابن الزبير، ولكنه رفض، لأنه يعلم علم اليقين أن انتصارات عبدالله ابن الزبير،

وتمكنه من مكة، لن تمنع يزيد من إرسال الجيوش
واستمرار القتال بما يضاعف الأخطار المحيطة به،
ويؤدي إلى وقوع ما يخشاه، من استباحة البلد الحرام في
سبيل أخذه وإرغامه وفي الوقت نفسه فإن هناك
بالكوفة عشرات الألوف من الناس ما زالوا يلحون في
دعوته إليهم، ويؤكدون استعدادهم لنصرته والعمل
تحت لوائه.

منظر

استطلاع الحسين عليه السلام

للأحوال في الكوفة

- رأى الحسين عليه السلام في النهاية، قبل أن يتخذ قراره الأخير، أن يقطع الشك باليقين، وأن يكتب إلى القوم للثبوت من رأيهم، وإن يبعث إليهم بمن يكشف له حقيقة موقفهم، فإن كانوا صادقين في نيتهم، فكر في الاستجابة لهم، والسير إليهم، وإذا كانوا خلاف ذلك، سلك بنفسه وأهله المسلك الذي يوفر له البعد عن الظالمين، ويحقق له الأمن والكرامة في الدنيا والدين.

وهكذا كتب الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة يقول:

- ((من حسين بن علي، إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين، أما بعد: فقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكركم، ومقالة جلکم؛ إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالکم وأمرکم ورأيکم، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي

ملئكم، وذوي الفضل ولحجى منكم، على مثل ما
قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم
وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل
بالكتاب والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس
نفسه على ذات الله والسلام.

- أرسل الحسين عليه السلام كتابه مع آخر الرسل الذين وفدوا إليه
من الكوفة، وبعث في أثرهم ابن عمه مسلم بن عقيل
في ذي القعدة سنة ستين هـ. فلم يكديصل إلى الكوفة،
ويتسامع أهلها بقدمه حتى هرعوا إليه، وبايعوه على
إمرة الحسين عليه السلام.

وأقسموا لينصرنه بأنفسهم وأموالهم، وبلغ تعداد من بايعوه
ثمانية عشر ألفاً، ثم زادوا إلى أربعين ألفاً.

- هنالك، كتب مسلم إلى الحسين عليه السلام يقول:
- أما بعد: فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل

الكوفة، معك، فأقبل حين تقرأ هذا، والسلام.

- تلقى الحسين عليه السلام كتاب مسلم بن عقيل، فلم يعد هناك مجال لأي تردد، فإن الخطر في مقامه بمكة، محقق لا ريب فيه! بالنسبة له، وبالنسبة للبلد الحرام، والبيت الحرام، في حين أن الخطر في الهجرة إلى العراق محتمل بالنسبة له ومن معه فقط، فاختار عليه السلام التعرض لخطر محتمل محقق به وبأهله، على خطر محقق، يمتد لهيبه إلى البلد الحرام، والبيت الحرام، ومن يعيش في كنفهما، ويلوذ بحماها، من القائمين والعاكفين، والركع السجود.

صلى عزم الحسين عليه السلام على الهجرة.

أشفق الصحابة والتابعون على الحسين عليه السلام أشد الإشفاق، وجزعوا لما علموه من اعتزامه الهجرة إلى الكوفة، فتتابعوا في القدوم عليه، وإسداء النصيحة له، ومناشدته عدم الالتجاء إلى

قوم لا عهد لهم ولا ميثاق.

منظر:

- كان معاوية أعظم الولاة حظاً من كل شيء أيام عثمان رضي الله عنه، وكان والياً لعمر رضي الله عنه على دمشق، فلما مات أخوه يزيد بن أبي سفيان والي عمر رضي الله عنه على الأردن، ضم عمر رضي الله عنه إلى معاوية عمل أخيه، وشكر ذلك له أبو سفيان، ولكن عمر رضي الله عنه لم يجب معاوية، ولم يرد أن يعزي أبا سفيان عن موت ابنه بضم عمله إلى أخيه، وإنما رضي عن معاوية ورأى فيه كفاية وعزماً وحزماً، فاستكفاه الأردن فكفاه، وقد مات عمر رضي الله عنه، ومعاوية على هذين الجندين، فأقره عثمان رضي الله عنه عليهما، كما أقر عمال عمر رضي الله عنه جميعاً عامه الأول، ولكن عبدالرحمن بن علقمة الكناني عامل عمر رضي الله عنه على فلسطين يموت، فيضم عثمان رضي الله عنه فلسطين إلى معاوية، ثم يمرض عمير بن سعد

الأنصاري عامل عمر رضي الله عنه على حمص ويستعفي عثمان رضي الله عنه من عمله فيعفيه ويضم حمص إلى معاوية، فتخلص له أرض الشام كلها، فيصبح أعظم العمال خطراً وأعلاهم قدراً أيام عثمان رضي الله عنه، فهو قد اجتمعت له أرض الشام كلها، وأصبح بحكم مركزه الجغرافي قوياً إلى حد غير مألوف، وقد وقعت ولايته بين الحجاز وفيه أمير المؤمنين رضي الله عنه ومركز الخلافة، ومصر، وهي الولاية التي تكاد تداني ولايته قوة وبأساً، وإن زادت عليها ثراء. وهو على ساحل بحر الروم، وعلى حدود الروم وعلى حدود الروم أيضاً يستطيع إن شاء الله أن يستمد الخليفة رضي الله عنه ويستطيع إن شاء الله أن يمد الخليفة، ويستطيع كذلك أن يستمد مصر ويمدها، ثم أمامه بابان عظيمان من أبواب الجهاد، البحر من جهة، وثور الروم في البر من جهة أخرى، فهو يستطيع أن يرفع

شأن الدولة، ويرفع شأن نفسه، وأن يعلي كلمة
الإسلام، ويبنى لنفسه مجداً لا يستطيع أحد من العمال
أن يطاوله.

وقد طال عهد معاوية بالشام، فعرفه أثناء خلافة عمر رضي الله عنه
كلها وأيام خلافة عثمان رضي الله عنه كلها، وقد أحب أهل الشام وأحبه
أهل الشام، ورضي عنه الخليفان جميعاً، وأصبح لطول ولايته
وحسن مدخله إلى نفوس رعيته أشبه بالملك منه بالوالي، فليس
تأريخ الخلافة يعرف والياً أتيح له من طول الولاية واتصالها
واستقرارها وتدرجها في الاتساع مثل ما أتيح لمعاوية، وليس
غريباً أن يرضى معاوية عن نفسه وحظّه حين يرى العمال من
حوله يعزلون بين حين وحين أثناء خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما،
ويرى نفسه مستقراً لا يريم، والولايات تضم إليه واحدة في إثر
الأخرى، ولو قد كان معاوية مقصراً في عمله أو جائراً على
رعيته لما أقره عمر رضي الله عنه ولا أعفاه عن العزل، بل من العقوبة إن

اقتضى الأمر أن يعاقب، وأكبر الظن أنه لم يغير سيرته في أهل الشام بعد وفاة عمر رضي الله عنه واستخلاف عثمان رضي الله عنه رضي عن سيرته حين كان الخليفة مشدداً متحرجاً، فلم يرد بالإقامة عليها بأساً حين أصبح الخليفة هيناً ليناً سمحاً، ولهذا لم يشارك أهل الشام فيما شارك فيه أهل الأمصار الأخرى من اتهام عمالهم والتشهير بهم والخلاف على عثمان رضي الله عنه، فالذين حاصروا عثمان رضي الله عنه وفدوا من الكوفة والبصرة ومصر، ولم يكن بينهم شامي واحد، ولهذا أيضاً كان عثمان رضي الله عنه إذا أراد أن يسير أحداً من المخالفين عليه والمنكرين على عماله نفاه إلى الشام، لا يستثني من ذلك أهل المدينة أنفسهم. فسرى أنه حين ضاق بأبي ذر رضي الله عنه أمره أن يلحق بديوانه في الشام، وكان أبو ذر قد خرج إلى الشام غازياً فكتب اسمه في الديوان هناك، فردّه عثمان رضي الله عنه إلى الشام خوفاً على أهل المدينة من لسانه أو من عودته.

فقد كان حزم معاوية إذاً هو الملجأ الذي كان عثمان رضي الله عنه يلجأ

إليه إذا أراد تأديب الذين يسرفون عليه وعلى عماله في المعارضة، ويجب أن تعترف بأن معاوية كان حازماً حتى على عثمان رضي الله عنه نفسه، فهو قد كان يتلقى المنفيين الذين يرسلهم إليه ويحاول إصلاحهم، فإذا أعياه ذلك طلب إلى عثمان رضي الله عنه أن يعفيه من نزولهم عليه، ولم يكن عثمان رضي الله عنه يرد له طلباً.

ولم يقتصر معاوية في انتهاز ما أتيح له من حظ، فهو لم يقيم في الشام وادعاً مطمئناً يدبر أمر ولايته ولا يزيد على ذلك، وإنما كانت نفسه تنازعه إلى الفتوح نزاعاً شديداً، وكان في أيام عمر رضي الله عنه أشبه شيء بالفرس الذي يعرض شكيمة تحرقاً إلى العدو، ولكن عمر رضي الله عنه كان يمسكه ويأبى عليه، وكان البحر يدعو عمر رضي الله عنه دعاءً ملحاً، وكان معاوية يتوسل إلى عمر رضي الله عنه في أن يغزو البحر، فيشتد عمر رضي الله عنه في رفض ما كان يطلب إليه، حتى حذره مرةً من أن يعود إليه بحديث البحر.

فلما استخلف عثمان رضي الله عنه طلب إليه معاوية كما كان يطلب إلى

عمر رضي الله عنه، فأذن له على ألا يختار هو الغزاة، ولا يقرع بين الجند بل يخير الناس، فمن اختار منهم غزو البحر قبله وأعانه، ومن لم يختار أقام من أمره على عافية، وما هي إلا أن يتخذ معاوية أسطولاً ويغزو في البحر خمسين غزوة أو أكثر، فيثير ذلك غيره الوالي على مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح من مصر، فالتقى الجيشان في الجزيرة.

وكانت إلى معاوية حماية الثغور البرية مما يلي بلاد الروم، فكان يغير على العدو في الشتاء والصيف، وكان هذا كله يتيح له من الغنائم والفبيء ما يسر الجيش ويسر بيت المال.

وليس من شك في أن ما فعله عثمان رضي الله عنه كان له أثر استفاد منه معاوية في نقل الخلافة ذات يوم إلى آل أبي سفيان وتثبيتها في بني أمية، فعثمان رضي الله عنه هو الذي وسع على معاوية في الولاية فضم إليه فلسطين وحمص، وأنشأ له وحدة شامية بعيدة الأرجاء، وجمع له قيادة الأجناد الأربعة، فكانت جيوشه أقوى جيوش

المسلمين، ثم مدّ له في الولاية أثناء خلافته كلها كما فعل عمر رضي الله عنه، وأطلق يده في أمور الشام أكثر مما أطلقها عمر رضي الله عنه، فلما كانت الفتنة نظر معاوية فإذا هو أبعد الأمراء بالولاية عهداً وأقواهم جنداً وأملكهم لقلوب رعيته.

وقد كان عثمان رضي الله عنه يستطيع، لو أراد أن يحتفظ بسيرة عمر رضي الله عنه، أن يقر معاوية على دمشق والأردن، ويحتفظ بحمص وفلسطين ولايتين تتبعان المدينة مباشرة، ولو قد كان فعل ذلك لاحتفظ بسيرة عمر رضي الله عنه أولاً، ولأتاح للنابيين من شيوخ الصحابة وشباب العرب أعمالاً تحول بينهم وبين الفراغ، وتحول بينهم وبين السخط، وتحول بينهم وبين الغضب والثورة أو التحريض على الثورة، فلو قد فعل ذلك لحال بين معاوية، وبين ما أقدم عليه من الاستنفار حين أضرمت نار الفتنة، ولأتاح للمسلمين أن يحتفظوا بالأمر شورى بينهم، ولكن هذا الملك الضخم الواسع المتصل مكن لمعاوية في الأرض، ويسّر له أن

يرسل إلى مصر من يقطعها عن عاصمة الخلافة، وأن يرسل إلى الحجاز ثم إلى بلاد العرب من يجتازها من دون علي عليه السلام، وأن ينظر علي عليه السلام ذات يوم فإذا معاوية قد استأثر من دونه بخير ما في الدولة من الأمصار والأقاليم، وليس لذلك مصدر إلا مهارة معاوية أولاً، وضحامة ولايته ثانياً.

صفات الحسين عليه السلام:

❁ الحسين بن علي عليه السلام ورث عن جده محمد عليه السلام من أخلاقه الكريمة، وشماله الطيبة وسجاياه الحميدة ما جعله من أعظم الناس قدراً وكمالاً.

❁ وكانت فيه ملامح من جده عليه السلام ومن أبيه عليه السلام ويقال أنه في شدته وبأسه أقرب إلى أبيه، ولذلك قال والده عليه السلام: أشبه أهلي بي الحسين.

❁ كان يكسوه نور النبوة وعظمة الإيمان، وسمو الخلق، ومهابة الحق، فكانت لشخصيته العظيمة جاذبية آسرة

للافتدة التي كانت تحبه وتوقره وتتقرب إليه.

❁ كان قوي البنية، ربعة القامة، ضخم العضلات، يتكفأ في مشيئه على نحو يقارب مشية النبي، وتشيع في سمته قسات من جلاله، وهيبته، يجله كل من يراه، ويعظمه كل من يلقاه، وكان صوته غنة محببة، ونبرات قوية مؤثرة جعلت منه خطيباً مفوهاً وبليغاً مؤثراً، وكان عابداً ورعاً تقياً، وفقهياً عالماً داعياً إلى الله، يجتذب قلوب الناس إليه، يجله من يراه ويهابه من يلقاه.

وامتاز الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة والشجاعة والكرم والسخاء والتسامح والصدق والوفاء والصراحة، لا يخشى في الحق لومة لائم، وكان شهماً عالي الهممة نبيلاً في معاملاته حتى مع أعدائه، مجاهداً في سبيل الله متمسكاً بالحق مستبسلاً في الدفاع عنه حتى لو تحلى عنه الآخرون.

❁ كان صارماً في الحق، لا يحب الرفق ولا الهوادة ولا

التسامح فيما لا ينبغي التسامح فيه.

❁ لم يكن ميسراً على نفسه في أمر الدنيا، ولا منبسطاً في الحديث، ولا متحيباً إلى الناس، وإنما كان صارماً على نفسه، صارماً على غيره، يتجرع مرارة الصبر على مالا يحب.

❁ رأى الوفاء لأخيه حقاً عليه فوفى له وأطاعه كما أطاع أباه من قبل.

❁ كان يتحرق تشوقاً إلى الفرصة التي تتيح له استئناف الجهاد.

❁ كان صاحب فطنة، حسن النظر في الأمور.
❁ ظل طوال حياته مناضلاً ومجاهداً في سبيل الله.

- الحسين عليه السلام واثقاً مصمماً:

سأخرج طلباً للإصلاح في أمة جدي، ولا أخرج أشراً ولا بطراً.

- محمد ابن الحنفية: (ناصحاً مشفقاً) لأخيه:

أنت أحب الناس إليّ وأعزّهم عليّ، ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنحّ بتبعتك عن يزيد بن معاوية، وعن الأمصار بما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس، فادع إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك. إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتلون فتكون لأول الأسنة، فإذا خیر هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً.

- الحسين عليه السلام: إني رأيت رؤيا، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني فيها بأمر، وأنا له ماض عليّ كان أولي.

- محمد ابن الحنفية: انزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار فسيبيل ذلك، وإن نبت بك، لحقت بالرمال، وشعف

الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير
أمر الناس وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما
يكون رأياً أحزمه عملاً حتى تستقبل الأمور استقبالاً،
ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها
استدباراً.

- الحسين عليه السلام: يا أخي نصحت فأشفقت فأرجو أن يكون
رأيك سديداً موقفاً.

ثم يمضي إلى مكة.

خرج الحسين عليه السلام من المدينة في ليلٍ ألقى سدوله وستائره
ومسرحه كله بأبنائه وأخوته وبني أخيه ومعظم أهل بيته
مدفوعاً بالحماية بالبيت الحرام والسكن في أمن مكة، بعد أن
اشتدت على عاتقه الضغوط وزادت فوق كواهله دعوة والي
المدينة الوليد بن عتبة، يطلب منه بيعته ليزيد.

يمضي إلى مكة دون أن يتمكن من دعوة الناس إليه، لأن الرقابة
عليه كانت شديدة، وكان يرجو أن يعضده أنصاره في الكوفة.

- أنصار الحسين عليه السلام في الكوفة يجتمعون في منزل كبيرهم سليمان ابن صرد الخزاعي ويكتبون إلى الحسين عليه السلام عن نفر منهم: سليمان بن صرد وأبو شبيب بن محمد ورفاعة بن شداد وحبيب ابن مظاهر، ويعثون بالكتاب التالي إلى الحسين عليه السلام يحمله عنهم عبدالله بن سبع الهمداني وعبدالله بن والي.

بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليك، فإننا نحمدك إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فالحمد لله الذي قصم ظهر عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها، وتآمر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وإنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا في عيد، ولو بلغنا إقبالك إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

- كتب أهل الكوفة تتوالى على الحسين عليه السلام، وكتبوا له ثانياً

بعد ليلتين نحو (١٥٠) صفحة، ثم ثالثاً يستحثونه
للحاق بهم، كتب بذلك شيب بن ربعي، وحجار بن
أبي أبجر بن جابر العجلي، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن
رويم، وعروة بن قيس، وعمر بن الحجاج الزبيدي،
ومحمد بن عمير التميمي.

وكتبوا له في آخر رسالة: أما بعد فقد اخضر الجنب وأينعت
الشمار، وطمت الجهام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند،
والسلام عليك.

- الحسين عليه السلام يرد على أهل الكوفة بكتابه:

((أما بعد، فقد فهمت كل الذي أقصصتم، وقد بعثت
إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل،
فأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم.. فإن كتب إليّ أنه قد
اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به
رسلكم، أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمرى ما الإمام إلا

العامل بالكتاب والقائم بالقسط والدائن بدين الحق
والسلام)).

- بعض أنصار الحسين عليه السلام في البصرة يلتحقون به في
المدينة.

- الحسين عليه السلام يدعو مسلم بن عقيل ويسيره إلى الكوفة،
ويأمره بتقوى الله. فإن رأى الناس مجتمعين عجل إليه
بذلك.

- مسلم بن عقيل يسير نحو الكوفة رسولاً إليها من
الحسين عليه السلام وهو يحمل معه الأمل في إيقاظ الناس من
ضعفهم واستخلاص العدل من أنياب طغاتهم. وفرح
الناس به وهرعوا إليه يلمسون أطراف ثوبه يعانقون
بأناملهم كفألمست الحسين عليه السلام.

وأخذ مسلم يتلقى البيعة تلو البيعة من وجوه أبشرت،
وقلوب أقبلت، وعقول تأهلت، وصفوف تماسكت.

- وأحصاهم مسلم فوجد القوم اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة.
- والي الكوفة النعمان بن بشير تأخذه الريّة في مقدم مسلم بن عقيل فيتوعد الناس قائلاً:
- ... فوالله الذي لا إله إلا هو لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر ولا معين، أما إنّي أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل)).
- عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي:
- إنه لا يصلح ما ترى إلا الظلم، إن هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين.
- النعمان: أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله، وما كنت لأهتك سرّاً ستره الله.
- عبدالله بن مسلم يكتب بقول النعمان إلى يزيد.
- يزيد يستشير مولى له يدعى سرجون، وكان كاتباً لمعاوية

وصاحب أمره.

- سرجون: إنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد فوها
إياه.

- يزيد يأخذ برأي سرجون الذي دسه في أذني يزيد
كنصيحة أكدت له أن الذي يمكنه تصفية الكوفة دمويًا
وسياسيًا هو عبيد الله بن زياد فقط.

هو... لها...

وهي... له...

طاغية لمدينى متمردة.

ومدينة متمردة القشرة لصاحب مدينة تغوص تحت السطح
وتفتك بغشاء الغرائز الهش.

- دخل عبيد الله إلى الكوفة، مثلما يسير بجوار الحائط بينما
يلقي عليه الناس تحيتهم حارة.
أهلاً بابن بنت رسول الله.

- يهمل الصبية في أحضان أمهاتهم بعد أن قفزوا وصيد الباب وألقوا بحجارة اللعب واللهو.
- لقد جاء الحسين يا أمي.
- لكنهم ما لبثوا أن أدركوا أنها هو عبيد الله بن زياد وليس الحسين ﷺ فانتبهوا وتفرغت عقولهم للتخمين فيما سيحدث.
- يزيد يجمع إلى عبيد الله بن زياد إمرة الكوفة والبصرة، ويسيره مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة ويأمره فيه بطلب مسلم بن عقيل وقتله أو نفيه.
- عبيد الله بن زياد بعد أن وصل الكوفة يخطب أهلها فيقول: أما بعد فإن أمير المؤمنين ولاني مصركم وصغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم كالوالد البر، ولمطيعكم

كالأخ الشقيق، وسوطي على من ترك أمري وخالف
عهدي، فليترك امرؤ على نفسه.

- عبيد الله بن زياد ينزل المنبر ويأخذ العرفاء والناس أخذاً
شديداً ويقول:

اكتبوا إليّ الغرباء ومن فيكم من طلبه أمير المؤمنين، ومن
فيكم من الحرورية، وأهل الريب الذين رأيهم الخلف
والشقاق، فمن كتبهم إليّ فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحداً،
فليضمّر لنا ما في عرفته أن لا يخالفنا فيهم مخالف، ولا يبغى
علينا منهم باغ، فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه
وماله.

وأبياً عريف وجد في عرفته من بغية أمير المؤمنين أحد لم
يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من
العطاء وسيّر إلى موضع بعمان الزارة.

- مسلم بن عقيل يسمع بمقالة عبيد الله.

- كانت الكوفة ملتجة تماماً ومستعدة لإشعال فتيل.
- عبيد الله بين الزبير يجيء إلى الحسين عليه السلام مؤيداً رأيه ومحرضاً له على الخروج بقوله:
- لو كان لي بها مثل أنصارك لما عدلت بها.
- الحارث بن هشام المخزومي الذي سلم الحسين عليه السلام كتب أهل العراق وتهياً للسفر يقول للحسين عليه السلام: إني أتيتك يا ابن عمي لحاجة أريد ذكرها لك، فإن كنت ترى أنك تستنصحنني وإلا كففت عما أريد أو أقول.
- الحسين عليه السلام: قل: فوالله ما أظنك بسئ الرأي.
- الحارث: لقد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك؛ إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه، ومعهم بيوت المال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك النصر، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه.

- الحسين عليه السلام: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فلقد والله

علمت أنك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما

يقض من أمر يكن أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي

أحمد مشير وأنصح ناصح.

- عبدالله بن عباس رضي الله عنه: يأتي الحسين عليه السلام لما علم به أنه أجمع

المسير إلى الكوفة، فقال له:

يا ابن عم، إنه قد شاع بين الناس أنك سائر إلى العراق، فبين

لي ما أنت صانع؟

- الحسين عليه السلام: إني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين

إن شاء الله تعالى.

- عبدالله بن عباس:

فإني أعيذك بالله من ذلك! أخبرني رحمك الله، أتسير إلى قوم

قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟

فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك

إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعمالة تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفونك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك.

- الحسين عليه السلام: وإني أستخير الله وأنظر ما يكون.
- عبدالله بن عباس يعود عشياً أو في الغد إلى الحسين عليه السلام للمرة الثانية وذلك ليعلم ما استقر عليه رأي الحسين عليه السلام فيقول له: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر، إني أنخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، دع عنك العراق، وأقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فاكتب إليهم، فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن إبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريض طويلة، ولأبيك بها أبصار وأنت عن

الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل رسلك وتبث دعائك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية.

وإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعني لفعلت ذلك.

- الحسين عليه السلام لم يعمل بنصيحة الحارث بن هشام وعبدالله ابن عباس وقرر الذهاب إلى الكوفة اعتماداً على ما جاءه من الكتب.

- الحسين عليه السلام يلقي الشاعر الفرزدق ويسأله أن يبين له نبأ الناس خلفه.

- الفرزدق: من الخير سألت؟ قلوب الناس معك وسيوفهم عليك، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء.

- الحسين عليه السلام يخرج من مكة فيكتب إليه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب مع ابنه عون ومحمد: أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك. إن هلك اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإني في أثر الكتاب والسلام.
- عبدالله بن جعفر يستعين بعمر بن سعيد بن العاص والي مكة ويقول له: اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمام وتساله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع.
- عمرو بن سعيد يرد على عبدالله بن جعفر: اكتب ما تشاء وأتني به حتى أختمه.
- عبدالله بن جعفر يكتب إلى الحسين عن لسان عمرو، ويقول له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد،

فإنه أحرى أن تطمئن إليه نفسه، ويعلم أنه الجدد منك،
فقبل.

- يحيى بن سعيد وعبدالله بن جعفر يلحقان بالحسين عليه السلام
ويسلماه الكتاب.

- الحسين عليه السلام يقرأ الكتاب فيقول:

رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرت فيها بأمر أنا ماض له.

- فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

- الحسين عليه السلام: ما حدثت أحداً بها وما أنا محدث بها حتى
ألقى ربي.

- كتاب عمرو بن سعيد بن علي.

بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن
علي... أما بعد فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن
يهديك لما يرشدك بلغني أنك قد توجهت إلى العراق، وإني
أعيزك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد

بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما،
فإن لك عندي الأمام والصلة والبر وحسن الجوار لك، الله عليّ
بذلك شهيد وكفيل ومراعٍ ووكيل، والسلام عليك.

- الحسين عليه السلام يرد على الكتاب بكتابه الذي يقول فيه: أما
بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزّ وجل
وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى
الأمان والبر والصلة. فخير الأمان أمان الله، ولم يؤمن
الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا. فنسأل الله مخافة في
الدنيا توجب لنا أماناً يوم القيامة، فإن كنت نويت
بالكتاب صلتى وبري، فجزيت خيراً من الدنيا
والآخرة والسلام.

- في أثناء سير الحسين عليه السلام إلى الكوفة رآه عبدالله بن مطيع
العدوي فقال له: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما
أقدمك؟

- الحسين ﷺ كان من موت معاوية ما بلغك، فكتب إليَّ
أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم.

- عبدالله بن مطيع: أذكرك الله يا ابن رسول الله في حرة
العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك،
ولئن قتلوك لا يهابون أحداً أبداً. والله إنهل حرمة
الإسلام تنتهك وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا
تفعل ولا تأت الكوفة ولا تتعرض لبني أمية، فأبى إلا
أن يمضي.

- الحر بن يزيد يقول للحسين ﷺ وهو يسايره:
يا حسين إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت
لتقتلن، ولئن قتلت لتهلكن فيما أرى.

- الحسين ﷺ يرد على الحر بن يزيد قائلاً:
أفبالموت تخوفني؟ هل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ ما
أدري ما أقول لكم؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه

ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله ﷺ فقال له: أين تذهب فإنك
مقتول، فقال:

سأمضي وما الموت عار على الفتى

إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

وأسى الرجال الصالحين بنفسه

وفارق مثبوراً يغشى ويرغم

- الحسين ﷺ لا يأبه بمن أنذره لأنه لم يتصور أنهم
يقتلونه، ولم يكن مع ذلك يبالي بالقتل.

- مسلم بن عقيل يكتب إلى الحسين:

أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، إن جمع أهل الكوفة معك
فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عليك.

- الحسين ﷺ يقبل إلى الكوفة بناء على كتاب مسلم بن
عقيل حتى إذا بلغ الحاجز من بطن الرمة، بعث قيس

ابن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة وكتب معهم

إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي، إلى إخوانه
من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله
إلا هو، أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه
بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا،
فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وأن يثبكم على ذلك أعظم
الأجر، وقد تشخصت إليكم من مكة اليوم الثلاثاء لثمان مضي
من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فأجمعوا
أمركم وجدوا فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- قيس بن مسهر الصيداوي يقبل إلى الكوفة بكتاب

الحسين حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحسين بن

نمير فبعث به إلى عبدالله بن زياد.

- فقال له عبيد الله: اصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب، فصعد ثم قال:.. أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقت به بالحاجز فأجيبوه.
- قيس بن مسهر: يلعن زياد ويستغفر لعلي بن أبي طالب.
- عبيد الله بن زياد يأمر برمي قيس من فوق القصر فرمي به فتقطع فمات من ساعته.
- عبيد الله يهدد أهل الكوفة بالقتل والسلب والنهب.
- مسلم بن عقيل ينصرف بعد سماع خطبة ابن زياد ويترك دار المختار ويلتجأ إلى دار هانئ.
- أنصار الحسين ﷺ يأتون إليه في دار هانئ.
- عبيد الله بن زياد يرسل إلى هانئ، إني رائج إليك العشيّة.
- شريك يقول لمسلم بن عقيل: إن هذا الفاجر عائدي العشيّة، فإذا جلس اخرج إليه فاقتله ثم اقعد في القصر

- ليس أحد يحول بينك وبينه.
- في الليل أتاه عبيد الله، فقام مسلم بن عقيل، فقال له شريك: لا يفوتنك إذا جلس. فقال هانئ بن عروة: لا أحب أن يقتل في داري.
 - يجيء عبيد الله فيجلس ويسأل شريكاً عن مرضه فأطال.
 - شريك يقول بعد أن رأى أن مسلماً لا يخرج: ما تنظرون بسلامي لا تحيوها أسقونيها وإن كانت بها نفسي قال ذلك مرتين أو ثلاثاً.
 - عبيد الله: ما شأنه ترونه يخلط.
 - هانئ يقول له: نعم ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه فانصرف.
 - مسلم بن عقيل يخرج بعد انصراف ابن زياد.
 - شريك يقول لمسلم.

- ما منعك من قتله؟
- مسلم بن عقيل: خصلتان أما أحدهما: فكراهية هانئ أن يقتل في منزله، وأما الأخرى فحديث حدّثه علي عن النبي ﷺ: إن الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن بمؤمن.
- هانئ يقول لمسلم:
- لو قتلت عبيد الله بن زياد لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً.
- شريك يتوفى بعدها بثلاث ليال.
- عبيد الله يعلم أن شريكاً حرّض مسلماً على قتله فيقول:
- والله لا أصلي على جنازة (عراقي) أبداً، ولولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً.
- هانئ ينقطع عن زيارة عبيد الله، فيسأل عنه عبيد الله ويكلف من يأتي به وهو يعلم أنه يؤوي مسلماً في داره. فلما دخل هانئ على عبيد الله كاشفه عبيد الله في شأن إيوائه لمسلم بن

- عقيل، وأظهر له أنه يعلم كل شيء وأمره أن يأتي به.
- هانئ يأبى ويقول: لا آتيك بضيفي تقتله أبداً.
 - عبيد الله يهدد هانئ بالقتل.
 - هانئ: إذاً والله تكثر البارقة (السيوف) حول دارك.
 - عبيد الله: أباالبارقة تخوفني؟ وأخذ قضيباً ولم يزل يضرب أنف هانئ وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسيل الدماء على ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب (وكان رجل اسمه مهران أخذاً بضيفي هانئ) ثم أمر به فألقي في بيت وأغلق عليه.
 - عشيرة هانئ تحيط بالقصر إذ بلغها أن هانئ قتل.
 - شريح القاضي يخرج إليهم ويطمئنهم ويقول لهم:
 - إنه لم يقتل وإنه رآه فانصرفوا.
 - الخبر يصل إلى مسامع مسلم بن عقيل.
 - مسلم بن عقيل ينادي في أصحابه: يا منصور أمت...

وكان شعارهم، وكان قد بايعه ١٨,٠٠٠ وحوله في

الدور ٤٠٠٠ فاجتمع إليه ناس كثير.

- ابن زياد يأخذ الحيلة لما علم بالأمر فيتحرز في القصر

ويغلق الباب.

- مسلم بن عقيل: يحيط بالقصر.

- المسجد والسوق يمتلئان بالناس، وما زالوا يجتمعون

حتى المساء.

- الأمر يضيق بعبيد الله وليس معه في القصر إلا ثلاثون

رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من الأشراف وأهل

بيته ومواليه.

- أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الدار التي تلي دار

الروميين.

- الناس المجتمعون يسبون ابن زياد وأباه.

- ابن زياد يدعو كثير بن شهاب الحارثي ويأمره أن يخرج

فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذل الناس عن ابن
عقيل ويخوفهم.

- ابن زياد يأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعة
من كندة وحضر موت فيرفع راية أمان لمن جاءه من
الناس.

- وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن
ربعي التميمي وحجاء بن أبجر العجلي وشمر بن ذي
الجوشن الضباني، وترك وجوه الناس عنده استئناساً
بهم لقلّة من معه.

- النفر الذين كلفهم عبيد الله بن زياد يخرجون لتخذيل
الناس.

- عبيد الله يأمر من عنده من الأشراف أن يشرفوا على
الناس من القصر فيؤمنوا أهل الطاعة ويخوفوا أهل
المعصية.

- الأشراف يفعلون ما أمروا به.
- الناس بعد أن سمعوا مقالة أشرافهم أخذوا يتفرقون، حتى إن المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف الناس، ويفعل الرجل مثل ذلك، فما زالوا يتفرقون حتى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً.
- مسلم بن عقيل يخرج متوجهاً إلى أبواب كنده وليس معه أحد.
- ابن عقيل يمضي في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب.
- يدخل بيت امرأة يقال لها طوعة.
- عبيد الله بن زياد يذهب إلى المسجد بعد أن اطمأن ويصلي العتمة، وبعد الصلاة قام فحمد الله ثم قال: أما بعد فإن ابن عقيل السفيف الجاهل قد أتى ما رأيتم من الشقاق من رجل وجدناه في داره، ومن أتانا به فله ديتة.
- ابن زياد يأمر الناس بالطاعة ولزومها.

- ابن زياد يأمر الحصين بن تميم رئيس الشرطة أن يمسك أبواب السكك ثم يفتش الدور، وما زالوا يبحثون عن ابن عقيل حتى وجدوه في دار تلك المرأة، فحاصروه، وأخذوه إلى عبيد الله بعد أن قاتلهم وأمنه محمد بن الأشعث، وكان قد عجز عن القتال لكثرة ما أصابه، ثم أتوا بنعله فحمل عليها وانتزعوا سيفه.
- مسلم يبدو آيساً من نفسه، فدمعت عيناه ثم قال: هذا أول الغدر.
- محمد بن الأشعث: أرجو أن لا يكون عليك بأس (لكن عبيد الله لا يرحم).
- عمر بن عبيد الله بن عباس السلمي: من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك.
- مسلم: ما أبكي لنفسى، ولكنى أبكي لأهلي المنقلبين إليكم، أبكي الحسين وآل الحسين.

- مسلم لمحمد بن الأشعث: إني أراك ستعجز عن أمانى، فهل تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً يخبر الحسين بحالى، ويقول له عني ليرجع بأهل بيته ولا يغره أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل؟
- الأشعث يرد عليه: والله لأفعلن.
- محمد بن الأشعث يكتب بما قال مسلم إلى الحسين عليه السلام فلقية الرسول بزبالة.
- الحسين عليه السلام يقول: كل ما قُدر نازل، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا (وكان سبب مسيره من مكة كتاب مسلم إليه يخبره أنه بايعه ١٨,٠٠٠ ويستحثه للقدوم.
- محمد بن الأشعث يقدم بمسلم إلى القصر.
- محمد يدخل على عبيد الله يخبره الخبر وبأمانه لمسلم.
- عبيد الله يقول: ما أنت والأمان، ما أرسلناك لتؤمنه، إما

أرسلناك لتأتينا به.

- محمد يسكت.
- مسلم يجلس على باب القصر، يتلفت حوله، فيرى جرةً فيها ماء بارد فيقول: اسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي، أتراها، ما أبردها، والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم.
- مسلم بن عقيل يسأله: من أنت؟
- مسلم بن عمرو الباهلي يجيبه هازئاً: أنا من عرف الحق إذ تركته، ونصح الأمة والإمام إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو.
- مسلم بن عقيل يرد عليه: لأمك الثكل، ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك، وأغلظك!! أنت يا ابن باهلة أولى بالجحيم والخلود في نار جهنم مني.
- عمارة بن عقبة يدعو بماء بارد فيصب له في قدح.

- مسلم يأخذ ليشرّب فيمتلأ القدح دماً، وفعل ذلك ثلاثاً فقال: لو كان من الرزق المقسوم، شربته.
- الحرس يدخلون مسلماً على ابن زياد فلا يسلم عليه بالإمارة فيقول له الحرس: ألا تسلم على الأمير؟
- مسلم: إن كان يريد قتلي فما سلامي عليه، وإن كان لا يريد قتلي فليكثرن تسليمي عليه.
- ابن زياد لمسلم مقاطعاً: لعمرى لتقتلن.
- مسلم: كذلك؟
- ابن زياد: نعم.
- مسلم: دعني أوصي إلى بعض قومي.
- ابن زياد: افعل.
- مسلم لعمر بن سعد: إن بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة وهي سرّ.
- عمر بن سعد (لم يمكنه من ذكرها).

- ابن زياد: لا تمتنع من حاجة ابن عمك.
- عمر بن سعد يقوم مع ابن عقيل.
- ابن عقيل: إن عليّ ديناً استدنته وأنفقت، سبعمئة درهم فاقضها عني، وانظر جثتي واستوهبها فوارها، وابعث إلى الحسين من يرده.
- عمر بن سعيد لابن زياد: إنه قال كذا وكذا.
- ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن، أما مالك فهو لك تصنع به ما شئت، وأما الحسين فإن لم يُردنا لم تُرده، وإذا أردنا لم نكف عنه، وأما جثته فإننا لن نشفعك فيها.
- ابن زياد يقول لمسلم: يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة، فتشت بينهم وفرقت كلمتهم.
- ابن عقيل: كلا، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى

وقيصر، فأتيناهم لنأمر الناس بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب والسنة.

- ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق؟ ألم يكن يعمل بذلك فيهم إذ أنت تشرب الخمر في المدينة؟

- مسلم: (مندهشاً)... أنا أشرب الخمر؟! والله إن الله يعلم أنك غير صادق، وأنا لست كما ذكرت، وأن أحق الناس بشرب الخمر مني من ولغ في دماء المسلمين، فيقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب والعداوة، وهو يلعب كأنه لم يصنع شيئاً.

- ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قِتلة لم يُقتلها أحد في الإسلام.

- مسلم: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك.

- ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلياً وعقيلاً (عليهم السلام).
- مسلم: يسكت.
- ابن زياد يأمر به فأصعد فوق القصر لتضرب رقبته ويتبعوا رأسه جسده.
- بكير (القاتل) ينزل من فوق القصر فيقول له ابن زياد: ما كان يقول وأنتم تصعدون به القصر؟
- بكير يقول: كان يسبح ويستغفر، فلما هممت بقتله، قلت له: الحمد لله الذي أمكنني منك، فضربته ضربة لم تغن شيئاً، فقال: أما ترى فيّ خدشاً تخدشنيه وفاء من دمك أيها العبد؟
- ابن زياد: وفخراً عند الموت.
- العبد يقول: ثم ضربته الثانية فقتلته.
- محمد بن الأشعث يكلم ابن زياد في هانئ ويقول له: قد عرفت منزلته في المصر وفي بيته، وقد علم قومه أني أنا

وصاحبني سقناه إليك، فأنشدك الله لما وهبته لي، فإني
أكره عداوة قومه، فوعده أن يفعل.

- ابن زياد يأمر بهاني حين قتل مسلم فأخرج إلى السوق
فضربت عنقه، قتله مولى تركي لابن زياد، وبعث ابن
زياد برأسيهما إلى يزيد فكتب إليه يزيد يشكره.

- الفرزدق يقول في قتل مسلم وابن هاني:

وإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هاني في السوق وابن عقيل
إلى بطلٍ قد هشم السيفُ رأسه وآخر يهوى من طمار قتيل

- الحسين عليه السلام يخطب في أهل العراق:

- قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً
مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل
في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل أو قول: كان
حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة
الشیطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا

الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرم الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيري. وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم بيعتكم، إنكم لا تسلموني ولا تحذلوني، فإن اتمتم علي بيعتكم، تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، ولكم في أسوة، فإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما نكث على نفسه وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- في مسير الحسين ﷺ إلى الكوفة وفي موضع بينه وبين القادسية ثلاثة أميال، لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له: ارجع فإنني لم أدع لك خلفي خيراً وأخبره الخبر، فهم أن يرجع وكان معه أخوة مسلم فقالوا: والله لا نرجع

حتى نصيب بثأرنا أو نقتل. فساروا، وكان عبيد الله قد
جهز الجيش لملاقاته فوافوه بكر بلاء فنزلها ومعه خمسة
وأربعون فارساً ونحو مئة راجل، فلقيه عمر بن سعد
ابن أبي وقاص، وكان عبيد الله ولاه الري وكتب إليه
بعهده عليها إذا رجع من حرب الحسين، فلما التقيا، قال
له الحسين ﷺ: اختر مني إحدى ثلاث:

إم أن الحق بثغر من الثغور، وإما أن أرجع إلى المدينة، وإما
أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية، فقبل ذلك عمر منه، فكتب
فيه إلى عبيد الله فكتب إليه: لا أقبل منه حتى يضع يده في يدي.

فامتنع الحسين ﷺ فقاتلوه.

- كان عمر بن سعد كارهاً محاربة الحسين ﷺ، فلما أمره
عبيد الله بن زياد أن يسير لقتاله تلكأ، فقال له زياد:
فاردد علينا عهدنا. قال: أفأسير إذا؟ فلما سار قال عمر
لقرة بن سفيان الحنظلي: انطلق إلى الحسين فسله، ما

أقدمك؟ فأتاه فأبلغه، فقال الحسين عليه السلام: أبلغه عني أن أهل المصر (الكوفة) كتبوا إليّ يذكرون ألا إمام لهم، ويسألوني القدوم عليهم فوثقت بهم فغدروا بي بعد أن بايعني منهم ١٨,٠٠٠ ألف رجل، لهم، فلما دنوت علمت غرور ما كتبوا إليّ وارتدت الانصراف إلى حيث منه أقبلت، فمنعني الحر ابن يزيد وسار حتى جمع بي تعلق بي وكفني عن الذهاب في هذا المكان، ولي بك قرابة قريبة ورحم ماسة فأطلقني حتى أنصرف.

- قرّة يرجع إلى عمر بن سعد بجواب الحسين.
- عمر بن سعد: الحمد لله، والله إني لأرجو أن أعفى من محاربة الحسين.
- ابن زياد يكتب إلى عمر بن سعد بمنع الحسين عليه السلام وأصحابه عن الماء فلا يذوقوا منه حسوة.
- عمر بن سعد يأمر عمر بن الحجاج أن يسير في خمسمئة

راكب فينيخ على الشريعة (مورد الناس للاستقاء)
ويحولوا بين الحسين عليه السلام وأصحابه وبين الماء. وذلك قبل
مقتله بثلاثة أيام.

- الحسين عليه السلام يأمر أخاه العباس بن علي أن يمضي في
ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً مع كل رجل قربة حتى
يأتوا الماء فيحاربوا من حال بينهم وبينه.

- العباس يمضي بهم نحو الماء يتقدمهم نافع بن هلال
حتى دنوا من الشريعة.

- عمرو بن الحجاج يمنعهم.

- العباس يجالدهم على الشريعة بمن معه حتى أزالوهم
عنها.

- رجاله الحسين عليه السلام يقتحمونهم ويملؤون قريهم، ووقف
العباس في أصحابه يذبون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى
عسكر الحسين عليه السلام.

- ابن زياد يكتب إلى عمر بن سعد قائد الجيش الذي

يجارب الحسين عليه السلام:

"أما بعد، فإني لم أبعثك إلى الحسين لتطاول الأيام، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتكون شفيعه إليّ، وإن أبوا فازحف إليه، فإنه عاق شاق، فإن لم تفعل فاعتزل جندنا وخلّ بين شمر بن الجوشن وبين العسكر فإننا قد أمرناه بأمرنا.

- عبيد الله بن زياد يريد أن يقضي على الحسين عليه السلام ورجاله

في الحال، ويرى أن عمر بن سعد يتمهل في قتاله إن هم رضوا بالنزول على حكمه أن يبعثهم الله إليه ولا يزحف عليهم.

- عمر بن سعد كان كارهاً في الوقت نفسه لقتال الحسين

عليه السلام لكنه كان لا يريد أن يعتزل ويتخلى عن ولاية الري.

- عمر بن سعد ينادي في أصحابه، أن أنهضوا إلى القوم

فنهضوا إليه عشية الخميس وليلة الجمعة

لتسع ليالٍ خلون من المحرم.

- الحسين عليه السلام يسألهم تأخير الحرب إلى الغد فأجابوه.
- الحسين عليه السلام يأمر أصحابه أن يضموا مضاربهم بعضهم من بعض، ويكونوا أمام البيوت، وأن يحفروا من وراء البيوت أخدوداً (شقاً في الأرض) وأن يضرموها فيه حطباً وقصباً كثيراً لئلا يأتوا من أدبار البيوت فيدخلوها وذلك استعداداً للقتال والدفاع.
- بعد أن صلى عمر بن سعد الغداة نهض بأصحابه وعلى ميمنته عمرو بن صبح الصيدائي وعلى مسيرته شمر بن ذي الجوشن (واسمه سرحبيل بن عمرو بن معاوية من آل التوحيد) وعلى الرجالة شبت بن ربعي، والراية بيد زيد مولى عمر بن سعد.
- الحسين عليه السلام يعبئ أصحابه (٣٢ فارساً و ٤٠ راجلاً) فجعل زهير بن القين البجلي على ميمنته، وحبيب بن

مظاهر على مسيرته، ودفع الراية إلى أخيه العباس بن علي ثم وقف ووقفوا أمام البيوت.

- وقف الحر بن يزيد على فرسه ينظر بعيون دامعة وقلب واجف وبدن مرتعد برعشة أخذت على جسده، وأنهكت قلبه، يتحرك بفرسه دائراً حول نفسه، ملقياً نظراته على الصحراء الممتدة أمامه، وقد تحكمت فيه أفكاره، وسيطرت عليه أحاسيسه، بدا وكأنه ليس الحر بن يزيد أقوى فرسان قومه، وأعظم قادة الكوفة العسكريين.

كانت حوافر الفرس تخط في الرمال فتثير غباراً وتفجر تراباً فوق تلك الربوة التي اعتلاها الحر.

وبين عمرو وحياتين وقدرين ومستقبلين يتردد:

عن يمينه جيش الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، الحسين ابن بنت النبي ﷺ يحاصره والخطب والقصب

والخشب والنار والخيام التي يتخذها ابن بنت رسول الله وقاية
لظهره وحماية لأهله.

تتصلب عيونه في هذه البقعة من كربلاء على ابن نبيه ذاك
الذي يصلي عليه ويسلم ويرجو عفوه وشفاعته، ويقاتل من
أجل دينه، ويعلي في بناء رسالته، بسيفه البتار وكلمته الحارة
وقرآنه المحفوظ.

لكن الحر بطن فرسه وهو يسأل نفسه: من الذي أوقعني؟
من الذي قادني إلى تهلكة نفسي، وبيع الدين بالدنيا؟
تذكر أوامر عمر بن سعد قائد جيش يزيد الزاحف بأربعة
آلاف جندي وفارس يطلبون دم الحسين عليه السلام أو جرّه إلى قصر
الكوفة حيث ينتظره زياد بن مرجانة، أمير يزيد بن معاوية على
الكوفة بدمامته ووحشيته، وسوء خلقه، وسوء خلقته يفترس
عظم ابن بنت النبي العظيم وينهش في لحم رسالته وحلم
إمامته.

ما الذي أوقفني هنا يا أبناء الأفاعي؟
حدّث الحر نفسه، وهو يلتفت لجيش عمر بن سعد وحسم
أمره وأجبر شيطانه على التراجع.

لقد سأل عمر بن سعد:

مقاتل أنت هذا الرجل (يقصد الحسين عليه السلام)؟

فأجابه عمر:

إي والله قتلاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي.
ليست المسألة تهديداً لكي يتراجع الحسين عليه السلام عن طلب
الخلافة، وليست مجرد إرهاب ليسلم ليزيد بالبيعة.

إن الأمر جد، وإن الهلاك قادم ((ولحسين عليه السلام)) لا محال،
فهو يقف بين الثلاثين فارساً وأربعين راجلاً فقط من أهله
وأنصاره وعشيرته، وحده في هذه الصحراء الشاسعة القاتلة..
خلفه النيران الناشبة في خيامه، وأمامه أربعة آلاف فارس
يقودهم الطامح للإمارة والأفاق والمنافق والمريض بالسلطة،

والذي باع دينه مقابل كيس دراهم والذي أجبره الخوف
وأضعفته النفس السيئة فاندفع لمقاتلة ابن بنت النبي وابن علي
بن أبي طالب وابن فاطمة بنت محمد، يا الله...

ما أضيع النفس وأضعف القلب وأخف الثقل يوم العرض
على الميزان... سمع الحر حوافر فرس تقترب واتّضاع جسد
فوق ظهر الفرس وهممة بعيدة تدنو.. إنه المهاجر بن أوس
صاحب ورفيقه في رحلة الصحراء وصفوف الجيش وسكن
الكوفة والخروج لقتال الديلم فجراً، والصلاة في المسجد
والتسبيح في العشاء، وجلسات الشعر أمام نيران تدفئ القلب
والصدر في ليل الكوفة.

- زعق فيه المهاجر منتغضاً فوق حصانه:

والله إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل
شيء أراه الآن، ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة رجلاً ما
اخترت غيرك، فما هذا الذي أرى منك؟

- التفت إليه الحر لأول مرة منذ جاء لمقابلة الحسين عليه السلام.
- إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت.
- دفع الحر فرسه فانطلق بالحوافر وزغرد بالصهيل، والمهاجر يتابعه مندهشاً مذهولاً.
- دخل الحر بفرسه إلى حلقة الحسين عليه السلام الصغيرة المقاتلة الشجاعة المؤمنة... اقترب منه لاهثاً واثقاً مطمئناً.
- جعلني الله فداك يا ابن بنت رسول الله... أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأيرتك في الطريق.. وإني جئت تائباً مما كان مني إلى ربي مواسياً لك بنفسي وحتى أموت بين يديك... أفترى ذلك لي توبة؟
- نظر إليه الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- وقال: نعم يتوب الله عليك ويغفر لك...
- ما أسمك؟

فقال: أنا الحر بن يزيد.

قال الحسين عليه السلام:

أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة.

- عمر بن سعد ينادي مولاه زياداً أن قدّم الراية، فتقدم بها... وشبت الحرب.
- بالرغم من خطاب الحسين عليه السلام في القوم، وانضمام الحر بن يزيد وطائفة من فرسان الكوفة وأعيانها إليه، وبالرغم من مراجعة الحر لعمر بن سعد قائد جيش ابن زياد ولومه على موقفه من الحسين عليه السلام فقد أصر عمر بن سعد على القتال تنفيذاً للأوامر الصادرة إليه، وقال: لو كان الأمر لي لأجبت الحسين إلى ما طلب، ولكن الأمر أمر عبيد الله بن زياد.
- قوم ابن زياد يزحفون باتجاه الحسين عليه السلام لقتاله، فيخرج

إليهم زهير بن القين - وهو الذي التقى بالحسين عليه السلام في الطريق فرأى فيه من نور النبوة ما ذكره بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن طلق امرأته، وانضم إلى الحسين عليه السلام في مسيره فقال مخاطباً أهل الكوفة:

إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة، وعلى دين واحد، وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وأنتم أمة. إن الله ابتلانا وإياكم بذرية محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنما ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإن لم تنصروهم، فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم...).

- شمر بن ذي الجوشن يرميه بسهم ويقول: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

زهير يرد عليه قائلاً:

أفبالموت تخوفني؟ فوالله للموت معه أحبُّ إليَّ من الخلا معكم.

- زهير يقبل على الناس رافعاً صوته مخاطباً: عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعه محمد ﷺ قوماً أراقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم، وذب عنهم.
 - الحسين ﷺ بعد أن رأى عدم جدوى نصيحة القوم بعث إلى زهير من يقول له: أقبل فلعمري، لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه، وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ.
 - أول من رمى بسهم إيذاناً ببدء المعركة:
 - عمر بن سعد يزحف نحو الحسين ﷺ ويشمر عن ساعده ويرمي بسهم إيذاناً ببدء القتال، وهو يقول مفاخرأ: اشهدوا أني أول من رمى بسهم.
- تعليق:

عمر بن سعد ابن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة من أصحاب الشورى.

(وقد أراد عمر بن سعد بذلك أن يدرأ عن نفسه الشبهات، فقد كان كارهاً للخروج لقتال الحسين عليه السلام. وكان ابن زياد قد جهزه قبل ذلك في أربعة آلاف لقتال الديلم، فلما تلقى أمر يزيد بالتوجه إليه فاستعفاه من ذلك فتهدهه عبيد الله بالعزل.

- الفريقان يتراميان بالنبل.

- يبرز عبدالله بن عمير الكعبي بعد أن سمع نداء القوم إلى المبارزة، ويرى اثنين من رجال ابن زياد يقدمان إلى الميدان متحدين.

ويهب إلى الحسين عليه السلام مسرعاً وصائحاً به:

أبا عبدالله - رحمك الله - ائذن لي فلا أخرج إليهما.

تعليق:

كان الكلبي متشوقاً لقتال القوم، منذ رأى الجند بالنخيلة

يعرضون، وعلم أنهم يسرجون لقتال الحسين، فقال محدثاً نفسه:
(والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإنني لأرجو ألا
يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم، ايسر ثواباً عند
الله، من ثوابه إياي في جهاد المشركين. ودخل إلى امرأته،
فأعلمها بما سمع، وأخبرها بما يريد، فوافقته على ذلك،
وخرجت معه ليلاً حتى أدركا الحسين، ونظر الحسين إلى
الرجل، فوجده طويل القامة شديد الساعدين، عريض المنكبين،
وقال: إني لأحسبه للأقران قتلاً. اخرج إن شئت.

- الكلبي منطلقاً كالسهم نحو الرجلين، فشد على أحدهما
فضربه بالسيف حتى برد، وإنه لمشغول به إذ شد عليه
الآخر، فاتقى الكلبي ضربته بيده اليسرى، فطارت
أصابع كفه، ولكنه مال عليه فقتله هو الآخر.

- زوجته ترى ما حلّ بزوجها، فتندفع إلى نصرته، وقد
حملت عموداً لتضرب به وهي تصيح بزوجها قائلة:

- فذاك أبي وأمي!! قاتل دون الطيبين؛ ذرية محمد ﷺ.
- الكلبي لا يقيم وزناً لما أصابه، فيقبل على زوجته يردها إلى النساء، وهي تأبى إلا أن تظل بجواره وتقول له: دعني أكن معك، إني لن أدعك دون أن أموت معك.
- الحسين ﷺ يتقدم إلى الزوجين فيحسم النزاع بينهما قائلاً: جُزيتُم من أهل البيت خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء، فاجلسي معهن فإنه ليس على النساء قتال.
- فكان يرتجز ويقول:
- إن تنكروني فأنا ابن كلب حسبي بيتي في عُلَيم حسبي
 إني امرؤ ذو مرّةٍ وغضبٍ ولست بالخوّار عند النكب
 إني زعيم لك أم وهب بالطعن فيهم مقدّما والضربِ
- فضرب غلام مؤمن بالرب
- عبدالله بن عمير الكلبي يستمر - رغم بتر أصابعه - بالقتال بكل بسالة، ويصرع رجلين آخرين،

قبل أن يسقط شهيداً.

- امرأته تسرع إليه وتجلس عند رأسه، تمسح عند التراب،
وتقول: هنيئاً لك الجنة.

- شمر بن ذي الجوشن يرسل إليها غلاماً، فيضرب
رأسها بعمود فيشرخه فتموت مكانها.

- يزيد بن معقل من أصحاب الحسين قائلاً له بتحدٍ:
كيف ترى صنع الله بك؟

- برير؛ يجيبه: صنع الله والله بي خيراً، وصنع الله بك شراً.

- برير يناظر يزيد بن معقل ويدعوه للمبارزة.

- يخرج يزيد بن معقل إلى برير فيتلقاه برير بضربة بلغت
الدماغ فيخر كأنها هوى من حالق.

- برير (ينضنض) السيف من رأس عدوه.

- يحمل عليه آخر ويعتقه.

- برير يتمكن من صرعه، ويقعد على صدره ليجهز عليه.

- الرجل يستغيث بأصحابه.
- يذهب إليه كعب بن جابر الأزدي فيحمل على برير بالرمح، ويضع الرمح في ظهره.
- برير وجد مس الرمح، ولكنه لم يبال بالألم، فبرك على خصمه فعض وجهه وقطع طرف أنفه.
- كعب بن جابر يطعنه ويلقيه عنه وقد غاب السنان في ظهره، وأقبل عليه يضرب بسيفه حتى قتله.
- كعب بن جابر يعود إلى بيته فتقول له امرأته مستنكرة فعلته بمفاجأة برير من الخلف: لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً.
- وحمي الوطيس فاندفعت جموع من ميسرة عمر بن سعد، فحملت على أصحاب الحسين عليه السلام فثبتوا لهم، دافعوا عنه دفاعاً مجيداً، فلم يستطيع الأعداء - رغم كثرتهم - إليه سبيلاً. ورغم ما بذلوه من جهد وما

أصابهم من خسائر. وأخذت خيل الحسين ﷺ لا تحمل
على جانب من خيل الكوفة إلا كشفته، رغم قلة
عددهم، حتى دب الخلل في صفوف الكوفيين، فلما
رأى ذلك قائد فرسانهم، وأن خيله تنكشف ومن كل
جانب، وترتد في كل موطن، بعث يشكو حاله إلى عمر
بن سعد ويقول له:

أما ترى ما تلقى خيلي من هذه العدة اليسيرة؟ ابعث إليهم
الرجال والرماة.

- عمر بن سعد يستجيب للاستغاثة التي وصلته من
فرسانه فيبعث إليهم بخمسمئة من الرماة، فأقبلوا،
حتى إذا دنوا من الحسين ﷺ وأصحابه رشقوا خيولهم
بالنبل فلم تلبث حتى عقرت جميعها وصار جميع
أصحاب الحسين ﷺ راجلين.

- كان عقر جميع الخيول - رغم قلة عددها - كافياً

لانقلاب ميزان القوى بين هذه الجفنة المؤمنة وبين تلکم
الکثرة الساحقة، ولم يعد بالبعد أن تتمكن خیل أهل
الکوفة وحدها من اکتساح هذه الجفنة ووطئها
بالسنابک، ولكن أصحاب الحسین عليه السلام رغم فداحة
الخسارة بالمادية فإن ذلك لم یزدهم إلا استبسالاً في
القتال واستماتة في الذود عن عترة المصطفى، لم
یتراجعوا خطوة ولم یتزحزحوا شعرة، واستمروا في
مقاومتهم حتى انتصف النهار، والألوف حولهم لا
یقدرون علیهم، ولا یتطیعون أن یأتوهم إلا من وجه
واحد لاجتماع أبنتهم، وتقارب بعضها من بعض طبقاً
للخطة التي وضعها قائدهم الأکرم.

- القتال یتستمر سجالاتاً بین الفريقین.
- عمر بن سعد یضطر إلى أن یرسل عدة من رجال
یقومون بیوت الحسین عليه السلام عن أیمانهم وعن شمائهم،

- حتى يستطيعوا الإحاطة به وبمن معه.
- أصحاب الحسين عليه السلام يحولون دون الوصول إليها، وقتلوا كل من اقترب منها فعمدوا إلى إحراقها.
 - الحسين عليه السلام لأصحابه: دعوهم فليحرقوها فإنهم لا يستطيعون اجتيازها وقد أحرقت.
 - أصحاب الحسين عليه السلام يستمرون بقتالهم من وجه واحد.
 - أعداء الحسين يعظم غيظهم إذ رأوا هذه الحفنة القليلة ما زالت تقاومهم بشدة، ليس ذلك فحسب، بل وتنال منهم وتفتك بهم.
 - شمر بن ذي الجوشن يحمل على فساط الحسين عليه السلام وفيه أهل بيته من النساء والصبيان وحاول إحراقه.
 - رجل من أهل الكوفة يتصدى له، وقام إليه مستذكراً أن هذا لا يصلح لك... أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين؟ تعذب بعذاب الله، وتقتل الولدان والنساء.

- آخر يصيح به: ما رأيت فعالاً أسوأ من فعالك، ولا موقفاً أقبح من موقفك! أمر عباً للنساء صرت؟
- شمر بن ذي الجوشن ينصرف.
- ينتصف النهار، فيطلب الحسين عليه السلام من القوم أن يكفوا عن القتال حتى ينتهوا من صلاتهم ولكنهم أبوا.
- الحسين عليه السلام يصلي صلاة الخوف ببعض أصحابه في الوقت الذي كان الآخرون يواصلون القتال.
- نظراً لقلّة عدد أصحاب الحسين عليه السلام، فقد كان الواحد منهم إذا قتل ظهر أثره واضحاً في صفوفهم في حين أن مقتل العشرات من أهل الكوفة، لم يكن ليظهر له أي أثر بينهم حتى أن حبيب بن مظاهر كان يرتجز وهو يصول ويجول خلال المعركة ويقول مصوراً هذه الحالة ومفاخراً:
- أقسم لو كان لكم أعداداً أو شطركم وليتم أكدادا

- حبيب بن مظاهر يفي بعهده ويقف بجانب الحسين عليه السلام فيوليه قيادة مسيرته، ويبلي أحسن البلاء إلى أن صرع صاحبه مسلم بن عوسجة، فيسمع منه وصيته وهو يشير إلى الحسين عليه السلام: أوصيك بهذا إلى أن تموت دونه، فيجيبه (حبيب): أفعل ورب الكعبة.
- حبيب بن مظاهر يقاتل قتالاً شديداً، ويشخن في العدو طعناً وضرباً وقتلاً وهو يرتجز قائلاً:
أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجا وحرب تسعر
أنتم أوفر عدة... وأكثر ونحن أوفر منكم وأصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر حقاً وأتقى منكم وأظهر
- حبيب بن مظاهر في كره وفره يصاب بطعنة من رمح فيقع، وقبل أن ينهض من سقطته يعاجله آخر بضربة سيف، ويعمد إليه صالص فيجز رأسه.
- الحسين عليه السلام يحزن حزناً شديداً لمقتل حبيب فيقول حين

- علم باستشهاده: أحسب نفسي وحياة أصحابي.
- الحريكر على أصحاب بن زياد ويقتل منهم رجلين ويلقون منه أشد النكال.
- عمر بن سعد يرسل إلى رجاله خمسمئة من الرماة بعد ما رأى من بطولة الحر.
- الحريصاب بسهم منه، فما لبث أن أرعد واضطرب وكبا، فوثب عنه كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول متحدياً:
- إن تعقروا بي فأنا ابن الحر أشجع من ذي لبد هزبر
- الحر بن يزيد وزهير بن القين يقاتلان قتالاً شديداً بعد استشهاد حبيب بن مظاهر.
- الحر يرتجز:
- آليت لا تقتل حتى أقتلا ولن أصاب اليوم إلا مقبلا
أضربهم بالسيف ضرباً مقصلا لا ناكلاً عنهم ولا مهلاً

- الحر بن يزيد وزهير يستمران في قتالهما ساعة من زمان، فكان إذا أشدّ أحدهما على العدو حتى استلحم به، شدّ الآخر عليهم فخلصه حتى حمل على الحر بن يزيد جماعة من رجال الكوفة فسقط شهيداً.

- زهير بن القين وهو الذي جمعته الصدقة في الطريق من الحج بالحسين عليه السلام، فرأى في وجهه من نور النبوة ما حمله على مفارقة أهله وطلاق امرأته، ومرافقة الحسين، فلما عرض الحسين عليه السلام على أصحابه الانصراف متلفعين بالظلام أبى زهير وقال: والله لو ددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت، حتى أقتل كذا ألف قتلة، وإن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك، عن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

- زهير يواصل قتاله بين يدي الحسين عليه السلام ببسالة واستماتة وهو يردد مفاخرأ:

أنا زهير، وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين

- زهير بن القين يواصل قتاله بعد أن سقط أصحابه

الثلاثة الذين سبقوه إلى الشهادة فلم يزد ذلك إلا

استبسلاً في الكفاح وشوقاً إلى الشهادة، وأخذ يضرب

على منكب الحسين عليه السلام، ويقول له مبشراً بقاء الأحبة

محمد وصحبه.

أقدم هديت هادياً مهدياً فالיום تلقى جدك النبيا

وحسناً والمرضى علياً وذا الجناحين الفتى الكمي

وأسد الله الشهيد الحيا

- اثنان من جند ابن زياد يشدان عليه فيقتلانه.

- نافع بن هلال الجملي يدخل المعركة.

- نافع يعد سهاماً مسمومة كتب عليها اسمه (وهو أمر

غير مسبوق في المعركة) وجعل يرمي بها القوم هنا

وهناك فلا يخطئهم وهو يقول:

أنا الجملي... أنا على دين علي

- نافع يقتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد غير كثيرين أصيبوا بجراح خطيرة من سهامه.
- أصحاب عمر بن سعد يترصدون بنافع ويتكاثرون عليه إلى أن كسرت عضداه وحمل أخيراً إلى عمر بن سعد، فقال له:
- عمر بن سعد: ويحك يا نافع، ما حملك على ما صنعت بنفسك؟
- نافع لم يبال وهو في قبضة أعدائه الذين قتل منهم العديد من الرجال بما ينتظره من نكال، فأجابهم متحدياً، والدماء تسيل منه وتخضب لحيته.
- إن ربي يعلم ما أردت، والله لقد قتلت منكم اثني عشر سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتوني.

- الشمر بن ذي الجوش ينتضي سيفه ليجهز على نافع بأمر
عمر بن سعد، ولكن ذلك لم يغير موقفه، فظل ثابت
القلب رابط الجأش وهو يقول لشمر:
أما والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله
بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يد شرار خلقه. فقتله.
- وطيس المعركة يحمى، ويحمل رجال ابن زياد على
الحسين عليه السلام ومن معهم من كل جانب ويتكاثروا عليهم
حتى كادوا أن يصلوا إليه لولا تنافس أصحابه في الذود
عنه والاستشهاد بين يديه.
- فتیان یبکیان یدنوان من الحسين عليه السلام:
- الحسين عليه السلام يسألهما: أي ابني أخي: ما يبكيكما؟ فوالله إني
لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري العين؟
- الفتیان یجیان: جعلنا فداك، لا والله ما على أنفسنا
نبكي، ولكننا نبكي عليك، نراك قد أحيط بك،

ولا نقدر أن نمنعك.

- الحسين ﷺ يرد عليهما:

جزاكم الله يا بني أخي بوجدكما من ذلك، ومواساتكما إياي
بأنفسكما أحسن جزاء المتقين.

- الفتيان يودعانه قائلين: السلام عليك يا ابن رسول الله.
ويقاتلان حتى قتلا.

- حنظلة بن أسعد يتقدم بين أيدي الحسين ﷺ - وقد
رأى الأحداث تزداد شدة، فأخذ ينادي في رجال ابن
زياد يعظهم ويذكر بمقام الحسين ﷺ، وعظم ما هم
مقدمون عليه فيقول له الحسين ﷺ: رحمك الله، إنهم
استوجبوا العذاب حين ردوا ما دعوتهم إليه من الحق،
فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين.

حنظلة: صدقت، جعلت فداك، أنت أفقه مني وأحق بذلك

أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟

- الحسين ﷺ يحبيه: رح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى.

- حنظلة يرد عليه مودعاً السلام عليك أبا عبد الله، صلى الله عليك، وعلى أهل بيتك، وعرف بيننا وبينك في جنته.

- حنظلة يتقدم فيقاتل حتى استشهد.

- يتقدم عابس بن أبي شبيب فيقاتل بكل ما به من بأس حتى يصاب بجبينه فيتقدم إلى الحسين ﷺ والدماء تسيل منه فيسلم عليه ويقول:

يا أبا عبد الله: أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد، أعز علي ولا أحب إلي منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلت، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد أني على هديك وهدى أبيك.

- عابس يندفع نحو القوم شاهراً سيفه وهو يتحدى قائلاً:

ألا رجل لرجل، ألا ابرزوا لي؟

- الناس يهابونه لما يعلمونه من قوة بأسه، وشدة مراسه،
فيتراجعون خوفاً من بطشه وهم يتصايحون قائلين:
هذا الأسود... الأسود.. هذا ابن أبي شبيب لا يخرجن إليه
أحد منكم!

- الناس يعمدون إلى الحجارة، يرضخونه بها من كل
جانب، فلما رأى ذلك، ألقى بدرعه ومغفره جانباً، ثم
شدّ على الناس وهم مئات فأخذ (يكردهم) (يزيجهم)
بيديه، لكنهم عطفوا عليه من كل صوب فسقط شهيداً.
- الناس يتخاصمون فيه، ويدعي كل قتله فيقول لهم عمر
بن سعد: لا تختصموا فيه، فإنه لم يقتله سنان واحد.

- يتقدم أبو الشعثاء الكندي، ويرمي بمئة سهم، والحسين
ﷺ يدعوا له قائلاً: اللهم سد رميته واجعل ثوابه
الجنة.

- أبو الشعثاء ينتهي من رميه ويقول: ما سقط منها إلا خمسة أسهم، ولقد تبين لي أني قتلت خمسة نفر... وظل يقاتل حتى قتل.
- سقوط رجال الحسين عليه السلام يتتابع، ولم يبق حوله من أصحابه إلا عدد قليل يأتيه مثنى وفردى يسلمون عليه ويقولون له: أبا عبدالله؛ عليك السلام، حازنا العدو إليك، فأحببنا أن نقتل بين يديك، وندفع عنك فيجيبهم قائلاً:
- مرحباً بكم، جزاكم الله أحسن جزاء المتقين ثم يسلمون عليه مودعين ويقاتلون حتى يقتلوا.
- أصحاب الحسين عليه السلام يقتلون جميعاً، ولم يبق حوله سوى أبنائه وأهل بيته.
- علي بن الحسين بن علي عليه السلام: إني جالس في تلك العشية التي قتل أبي صبيحتها وعمتي زينب عندي تمرضني، إذ

اعتزل أبي بأصحابه في خباء له وعنده (حوى) مولى أبي

ذر الغفاري وهو يعالج سيفه وأبي يقول:

يا دهر أف لك من خليلٍ وكم لك بالإشراق والأصيل

من صاحبٍ أو طالب قتيلٍ والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمرُ إلى الجليل وكل حي سالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، فعرفت ما أراد
فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكوت. فعلمت أن
البلاء قد نزل. فأما عمتي زينب فإنها سمعت ما سمعت وهي
امرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبتت تجر
ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه! ليت
الموت أعدمني الحياة اليوم، ماتت أُمِّي وعلي أبي وحسن أخي،
يا خليفة الماضي وثمان^(١) الباقي.

(١) الثمال: الغيَّاث الذي يقوم بأمر قومه.

- فنظر إليها الحسين عليه السلام، فقال: يا أخية! لا يذهبن حلمك الشيطان.

- قالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبدالله استقتلت نفسي فذاك، فرد غصته، وترقرقت عيناه وقال: ((لو تُرك القطا ليلاً لنام)).

- قالت: يا ويلتاه؛ أفتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أفرح لقلبي وأشد على نفسي، ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقته، وخرّت مغشياً عليها. فقام الحسين عليه السلام، فصب على وجهها الماء، وقال لها: يا أخية! اتقي الله وتعزي بعزاء الله. واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده. أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم، ولكل مسلم برسول الله أسوة، فعزاها بهذا ونحوه وقال لها:

يا أخية! إني أقسم عليك، فأبري قسمي، لا تشقي عليّ
 جيباً، ولا تَحْمِشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور، إذا
 أنا هلكت، ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وخرج إلى أصحابه.
 - علي الأكبر ينبري مضيئاً منطلقاً، رافعاً سيفه على الظلم
 وفرسانه، والدنيا وزينتها، بين لحظة وأخرى ينظر إلى
 أبيه فيشرب يقينه ويمتص رحيق جهاده، ويعدو على
 العدو يقتل ويصرع وهو يقول مفاخراً:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبى
 تالله لا يحكم فينا ابن الدعي^(١) كيف ترون اليوم ستري عن أبي
 - علي بن الحسين ﷺ يواصل كره وفره رغم هول الموقف
 وانقطاع الأمل، وكان سيفه مصلتاً بين يديه وهو ينشد:
 أنا ابن علي الخبر من آل هاشم كفاني بهذا فخراً حين أفخر

(١) ابن الدعي عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان وكان زياد مجهول النسب
 في الجاهلية ويدعى ابن أبيه.

وجدي رسول الله أكرم من مشى ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة أُمي من سلالة أحمد وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

- علي بن الحسين عليه السلام يستمر على هذه الحال ساعة من
الزمان حتى أثار ثائرة القوم، وملاً قلوبهم غيظاً عليه،
فيعرضه مرة بن منقذ العبدى أحد فرسان الظلم،
فأوجس في نفسه أنه قاتله، ولما همّ علي برفع سيفه على
ظالم جديد استقبله مرة بطعنه حادة عميقة أوقعت علياً
فوق الأرض، فاجتمع حوله حشد من السيوف التي
تزاحمت فوق جسد الشاب وأعملت فعلها الوحشي
السافر في الفتى.

- الرجال يحملون علي بعد أن سقط أرضاً فيقطعونه
بسيوفهم إرباً.

- الحسين عليه السلام يتأثر لمقتل علي الأكبر بهذه الصورة أعماق
الأثر فتفجعه المصيبة ويقول بعد أن اقترب من أوصاله

المقطعة محتسباً الأجر عند ربه، وبكى دمعة وهمس

بقوله:

قتل الله قوماً قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول، فعلى الدنيا بعدك العفاء.

- السيدة زينب تتأثر بمصير ابن شقيقها فلم تتمالك أن أندفعت من خبائها وهي تصيح صيحات الفجيعة والألم.

يا أخياه... ويا ابن أخاه... وألقت بنفسها عليه تحتضنه وتقبله، فجاء الحسين عليه السلام، فأخذ بيدها إلى فسطاطه وأمر بابنه الشهيد فحوّل إليه.

- يتتابع سقوط الشهداء من أصحاب الحسين عليه السلام.

- عبدالله بن مسلم بن عقيل يصاب بسهم في جبهته فلا يكاد يضع كفه عليها حتى يعاجله الرامي بسهم يخترق قلبه.

- يتقدم محمد بن عبدالله بن جعفر إلى الميدان ينافح عن الحسين عليه السلام، ويدافع دفاع الأبطال، ويضرب بسيفه عن يمينه وعن شماله وهو يقول:

أشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عيان
قد بدّلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان
- محمد بن عبدالله بن جعفر يثخن في القوم ضرباً وطعناً
حتى تعاطفوا عليه وقتلوه.

- عون الأكبر بن عبدالله بن جعفر يندفع إلى القوم اندفاع
الليث وهو ينشد:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر
- عون الأكبر.. يصول ويجول ويقتحم الرجال ويصد
الفرسان ويصرع الصناديد، حتى يصاب في النهاية
بضربة سيف سقط بعدها شهيداً.

- سقوط الشهداء يتتابع ولكل منهم مواقف من البسالة وآيات البطولة.
- عبدالرحمن بن عكيل، يواصل القتال الذي بدأه أخوه عبدالله ولا يلبث أن يستشهد ويلحقه جعفر بن عكيل.
- أبو بكر بن الحسين يصاب بسهم وهو يقاتل فيرديه قتيلاً، ويتبعه خمسة من أخوة الحسين ﷺ هم عبدالله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد من أبناء علي استشهدوا جميعاً الواحد بعد الآخر.
- البقية الباقية من الشباب أصحاب الحسين ﷺ تواصل القتال فيتقدم القاسم بن الحسن بن علي، وهو غلام، شاهراً سيفه، فشد عليه عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي فضربه بالسيف على رأسه فوقع الغلام على وجهه وصاح مستغيثاً: واعماه!.
- الحسين ﷺ يشد شدة ليث غضب فيضرب عمر

بالسيف فيتيقه عمر بالساعد فقطعها من لدن المرفق،
فصاح ثم تخلى عنه.

- خيل أهل الكوفة تحمل على الحسين ﷺ لستنقذوا عمراً
منه.

- الخيل تستقبل عمراً بصدورها فتحرك حوافرها وتجول
الخيل بفرسانها عليه، فوكأته حتى مات وانجلت
الغبرة.

- الحسين ﷺ قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص
برجليه - وهو يقول: بعداً لقوم قتلوك... عزّ والله على
عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك،
صوت والله كثر وانزه وقل ناصره.

- الحسين ﷺ يحتمل ابن أخيه على صدره ويضعه بجوار
ابنه علي الأكبر.

في رثائه قال الشاعر:

عين جودي بعبرة وعويل واندبي إن بكيت آل الرسول
واندبي تسعة لصلب علي قد أيبوا وستة لعقيل
واندبي إن ندبت عوناً آخاهم ليس فيما ينوبهم بخذول
وسمي النبي ^(١) من غودر فيهم قد علوه بصارم مصقول
فإذا ما بكيت عيني فجودي بدموع تسيل كل مسيل

- الحسين عليه السلام يستمر في نضاله، وقد سقط حوله كل
أصحابه وأكثر أهل بيته، لكنه لم يهن ولم يحزن، وظل
كالطود الشامخ في موقفه لا تصل إليه جماعة إلا وترتد
عنه هيبة أو رهبة.

- مالك ابن البشير يضرب الحسين عليه السلام بالسيف ضربة
شديدة قطعت البرنس الذي يغطي رأسه فيمتلاً البرنس
دماً، فيلقيه الحسين عليه السلام جانباً ويدعو بعمامته فيلبسها.
- الحسين عليه السلام يشعر بالتعب لما بذل من جهد، ولما نزع من

(١) سمي النبي: هو محمد بن عبدالله بن جعفر.

دماء، فيقبل إلى فسطاطة ويقعد إلى بابه يلتمس بعض الراحة، يدعو بصبي صغير من أبنائه هو عبدالله بن الحسين عليه السلام، فيجلسه في حجره ويأخذ بتقبيله وشمه وكأنه يودعه، وبينما هو يوصي إلى أهل بيته وإذا بسهم يصيب الصبي البريء إصابة قاتلة وهو في حجر والده، وإذا بدمائه تتفجر، فيتلقاها الحسين عليه السلام ويلقي بها نحو السماء مناشداً ربه، وقد بلغ الحزن منه كل مبلغ ويقول: ربِّ إنَّ تك حبست عنا النصر من السماء، فاجعله لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين.

- العطش يشتد بالحسين عليه السلام، وقد منعه رجال ابن زياد من الفرات منذ وصولهم.

- الحسين عليه السلام يجاهد للوصول إلى الماء، وهم يحاولون منعه حتى خلص إلى شربة منه، ولكن القوم في قسوة قلوبهم أبوا عليه أن يهناً بهذه القطرات من الماء.

- الحصين بن تميم، يرميه بسهم في حنكه.
- الحسين عليه السلام يتنزع السهم، وقد فار الدم من مكانه،
فيتلقاه بيديه ويرفعهما إلى السماء ويدعو عليهم دعاء
بليغاً ويقول:
- اللهم إني أشكو إليك ما يُفعل بابن بنت نبيك، اللهم
أحصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً.
- رجال ابن زياد يحاولون الوصول إلى منزله الذي فيه
نساؤه وعياله فيصيح الحسين عليه السلام بهم موبخاً.
- ويلكم: إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون يوم
المعاد، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً وذوي أحساب،
امنعوا أهلي ورحلي عن طغاتكم وجهالكم.
- وكان قائد ذلكم النفر الذين يريدون اقتحام منزل
الحسين عليه السلام هو شمر بن ذي الجوشن، الذي كان قائد
النصر الأول في المحاولة الأولى. وكما استخزي في المرة

الأولى، فإنه كان كذلك في الثانية.

- الحسين عليه السلام يرد على شمر قائلاً:

ذلك لك يا ابن فاطمة.

- القوم يرتدون عن رحل الحسين عليه السلام ويتجهون إليه،

وهو وحيد في الميدان بعد أن استشهد معظم أصحابه

وفتيانه من أهل بيته.

- الجموع تحيط بالحسين عليه السلام، وشمر يجرضهم على قتله،

وهم يترددون ويحجمون كل منهم يتمنى لو كفاه

الآخرون.

- ساعة تمضي، والقوم في حيرة من أمرهم، كل منهم

يحرّض الآخر على الإقدام، وكل منهم لا يجد الشجاعة

الكافية لذلك.

- شمر بن ذي الجوشن يمر بأبي الجنوب عبدالرحمن

الجعفي وهو شاك في السلاح، فيقول له محرّضاً إياه على

مهاجمة الحسين عليه السلام: أقدم عليه!! فلا يتردد الرجل أن

يحييه مستنكراً: وما يمنعك أن تقدم عليه؟

- شمر يحييه محاولاً إخفاء جنبه وضعفه خلف ستار من

التجبر والكبرياء: إليّ تقول ذا؟!

- عبدالرحمن الجعفي يحييه: وأنت تقول لي ذا؟!

- الحديث يتطور بينهما حتى يسب كل منهما الآخر.

- يبلغ الغضب بأبي الجنوب - وكان مشهوراً بالشجاعة -

مبلغه، فيقول لشمر مهدداً: والله لقد هممت أن

أخضخض السنان في عينك، فانصرف عنه وهو يتوعده

وينذره.

- شمر يعود إلى رجاله يحرضهم على قتل الحسين عليه السلام

ويصيح بهم: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجال؟ اقتلوه،

ثكلتكم أمهاتكم.

- الحسين عليه السلام ينظر إلى شمر ويقول: صدق الله ورسوله،

قال رسول الله: كأني أنظر إلى كلب أبقع^(١) يلغ في دماء أهل بيتي.

- المعركة يشتد أوراها حين حمل الرجال على الحسين وأهل بيته (عليهم السلام)، وهو واقف كالأسد المصور يقاتل وحده جيشاً جراراً رابط الجأش ثابت الجنان.

- الرجال يواصلون حملتهم من كل جانب على الحسين عليه السلام، فشد على من عن يمينه حتى اندحروا، وشد على من على شماله حتى تفرقوا وظل ثابت الجنان يتقي الرمية ويفترص العورة، ويصيد الخيل، كل ذلك رغم نكبته بقتل أولاده وأهل بيته وأحبابه ورغم ما يعانيه من عطش وما أصابه من جرح ونزف دماء.

- الحسين عليه السلام لا يفتأ عن نصيح القوم مبيناً لهم خطورة ما هم مقدمون عليه، وسوء عاقبة

(١) إشارة إلى شمر الذي كان أبرص.

ما هم مقترفون فيقول لهم:

أعلى قتلي تحابون ؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد
الله أسخط عليكم بقتله مني، وإيم الله إني لأرجو أن يكرمني الله
بهوائكم، ثم ينتقم الله لي منكم من حيث لا تشعرون.

أما والله لو قد قتلتموني، لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك
دماءكم، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

- زرعة بن شريك يصيب الحسين عليه السلام بضربة على كتفه.

- الحسين عليه السلام رغم شدة ضربه زرعة، يضربه على عاتقه
فيصرعه.

- القوم يتفرقون عن الحسين عليه السلام قليلاً خوفاً من شدة بأسه.

- القوم يعودون إليه بعدما رأوا شدة إعياء الحسين عليه السلام
بتأثير ضربة زرعة، حتى إنه لينوء ويكبو.

- يتدرب إليه شيب بن ربعي وبيده السيف ويدنو لتحيز
رأس الحسين عليه السلام.

- الحسين ﷺ يرمقه بنظرة فيرمي السيف من يده ويولي هارباً وهو يقول: ويحك يا ابن سعد تريد أن تكون بريئاً من قتل الحسين، وإهراق دمه وأكون أنا مطالباً به، معاذ الله أن ألقى الله بدمك يا حسين.
- سنان بن أنس يلوم شبثاً بن ربعي ويقول: ثكلتك أمك وعدمك قومك لم رجعت عن قتله؟
- شبث بن سنان: إنه فتح عينيه في وجهي فاستحييت أن أقتله.
- سنان بن أنس يحمل على الحسين ﷺ فيطعنه بالرمح.
- الحسين ﷺ يقع على الأرض.
- يتقدم إليه أشقى القوم شمر بن ذي الجوشن فاحتز رأسه.
- القوم ينتهبون محتويات خبائه حتى ما كان على نساء أهل البيت من الثياب الظاهرة.

- خولي بن يزيد الأصبحي يحمل رأس الحسين عليه السلام يريد قصر ابن زياد فيجد باب القصر مغلقاً.
- خولي بن يزيد الأصبحي يأتي منزله فيضع رأس الحسين عليه السلام تحت (إجانة) في الدار، ويأوي إلى فراشه.
- النوار بنت مالك (زوجة خولي) تسأله: ما الخبر؟
- خولي بن يزيد الأصبحي: جئت بك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدار.
- (قال ذلك لأنه كان يأمل أن يكافئه الوالي عبيد الله مكافأة عظيمة).
- النوار تقول: وبلك، جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت برأس الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لا والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت واحد أبداً.
- النوار تقوم من فراشها وتخرج من الدار.
- خولي بن يزيد الأصبحي: يأخذ رأس الحسين عليه السلام إلى

عبيد الله ابن زياد فيضعه بين يديه.

- عبيد الله بن زياد، أخذ ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة.
- زيد بن أرقم لما رأى عبيد الله لا يحجم عن نكثه بالقضيب يقول له:
أعلِ بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره،
لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما.
- زيد بن أرقم ينتحب ويبكي.
- ابن زياد يقول له مخاطباً: أبكى الله عينيك، فوالله لو أنك
شيخ قد خرقت وذهب عقلك لضربت عنقك.
- عبيد الله بن زياد ينصب رأس الحسين ﷺ بالكوفة،
وجعل يدار به في أنحائها.

منظر
شجاعة زينب بنت علي

لما دخل برأس الحسين ﷺ وصبيانته وأخواته ونسائه على
عبيد الله ابن زياد لبست زينب أردل ثيابها وتنكرت وحفت بها
إماؤها.

- زينب تدخل على عبيد الله بن زياد وتجلس.
- عبيد الله يتساءل: من هذه الجالسة؟
- زينب لا تكلمه ولا ترد عليه.
- عبيد الله يكرر تساؤله ثلاثاً، وزينب صامته لا تكلمه.
- بعض إماءها يرددن عليه:
- هذه زينب بنت علي.
- عبيد الله يقول لها ساخراً وبوقاحة:
- الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم، وأكذب أحدوشتكم.
- زينب ترد عليه وتقول: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد
ﷺ وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت. إنما يفتضح
الفاسق ويكذب الفاجر.

عبيد الله يقول: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

زينب ترد عليه:

كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه متخاصمون عنده.

لقد تعديتم على أهل بيت رسول الله ﷺ وقتلتموهم ومثلتم بهم، وليس المستغرب أن يقع الظلم على الأطهار والأبرياء في هذه الدنيا، وقديماً قتل الأنبياء الصالحون والصديقون والأولياء، وسيحارب الله الظالمين في الآخرة على ما جنت أيديهم، قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ولو لم تكن هناك دار أخرى للحساب، لساد الظلم وفاز الظالم القوي.

- ابن زياد يستشيط غضباً لما سمع من زينب، فيقول له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير إنها هي امرأة، وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقتها، إنها لا تؤاخذ بقول ولا

تلام على خطل .

- ابن زياد يقول لزئب: قد شفى الله نفسي من طاغيتك
والعصاة المردة من أهل بيتك .

- زئب تبكي وتقول: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرت
أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا
فقد اشتفيت .

- عبيد الله يقول لها: هذه شجاعة. لعمري قد كان أبوك
شاعراً شجاعاً

- زئب ترد: ما للمرأة والشجاعة، إن لي عن الشجاعة
لشغلاً، ولكن نفثي ما أقول .



منظر

علي بن الحسين (عليهما السلام)

وعبيد الله بن زياد

عُرِضَ علي بن الحسين (زين العابدين) بعد مقتل أبيه على عبيد الله بن زياد.

- ابن زياد يسأل علياً عن اسمه.
- علي يرد على ابن زياد:
- أنا علي بن الحسين.
- ابن زياد يسأله، أَوَلَمْ يَقْتُلِ اللهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟
- علي يسكت.
- ابن زياد يقول له: مالك لا تتكلم؟
- علي: قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي فقتله الناس.
- ابن زياد: مالك لا تتكلم.
- علي: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ و ﴿وَمَكَاتَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
- عبيد الله: وأنت والله منهم... ويحك.
- عبيد الله مخاطباً من حوله: انظروا هل أدرك،

والله إني لأحسبه رجلاً.

- مري بن معاذ الأحمر ي كشف عنه ويحيب ابن زياد:
نعم أدرك.

- عبيد الله يقول لـ(مري) ا قتله.

- علي بن الحسين يخاطب عبيد الله: من توكل بهؤلاء
النسوة.

- زينب (عمته) تتعلق بعلي وتقول:

يا ابن زياد حسبك منا، أما رويت من دمائنا؟ وهل أبقيت
منا أحداً؟

- زينب تعتنق علياً وتخاطب ابن زياد قائلة:

- أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلتته لما قتلتني معه.

- علي ينادي ابن زياد ويقول: يا ابن زياد. إن كانت بينك
وبينهم لقراة، فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهم
بصحبة الإسلام.

- ابن زياد ينظر إليها وقتاً وهو ساهم، ثم ينظر إلى القوم،
ويقول: عجباً للرحم، والله إني لأظنها ودت لو أني
قتلتها معه، دعوا الغلام، متلفتهاً إلى علي: انطلق مع
نسائك.

منظر

خطبة عبيد الله بن زياد

بعد مقتل الحسين عليه السلام

-

يدخل عبيد الله القصر، ويدخل الناس فينادي: الصلاة
جامعة.

- الناس يجتمعون في المسجد الأعظم.
- ابن زياد يصعد المنبر ويقول: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وأنصاره.
- ما إن فرغ ابن زياد من مقالته تلك حتى وثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدي صارخاً بوجهه: يا ابن مرجانة: إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين؟
- ابن زياد:
- يأمر بقتل عبدالله بن عفيف وصلبه.

منظر

**تسريح رأس الحسين عليه السلام ورؤوس
أصحابه إلى يزيد بن معاوية**

عبيد الله بن زياد يدعو زحر بن فيس، ويسرح معه برأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية ليظهر للخليفة أنه قهر أعداءه وانتصر عليهم، وقطع رؤوسهم انتقاماً منه، وأنه أهل لثقتة، وقد برهن عبيد الله على أنه أقسى الحكام قلباً، لا يبالي بسفك الدماء ولا تأخذه شفقة على أحد.

- ابو زحر يصطحب معه (أبو بردة بن عوف الأزدي) وطارق بن أبي ضبيان الأزدي، ويخرجون إلى الشام للقاء يزيد.

- زحر يدخل على يزيد، فيتلقاه يزيد قائلاً:

ويلك ما وراءك، وما عندك؟!

- زحر: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من أنصاره، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا

القتال على الاستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها منهم هام القوم، يهربون إلى غير مأوى. ويلوذون منا يالآكام والحفر لوإذاً كما لاذا الحمايم من صقر، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور (ذبح دبيحة) أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسامهم مجردة، وثيابهم ملطخة بالدماء، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الرياح زوارهم العقبان والرخم في البراري.

- زخر يريد أن يدخل السرور في نفس يزيد ويؤمل أن يتلقى يزيد هذه البشرى بالبشر ويجزل عطاءه ويكرم وفادته.

- يزيد لما سمع مقالة زحر دمعت عيناه وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتال الحسين.

لعن الله ابن سمية، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه،
فرحم الله الحسين وأنشد:

يفلقن هاماً من رجال أعزةٍ علينا وهم كانوا أعق وأظلم
أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك.

- عمر بن سعد قائد الجيش الذي حارب الحسين عليه السلام

يرسل نساء الحسين وعياله إلى عبيد الله بن زياد، ولم
يكن بقي من أهل بيته إلا غلاماً كان مريضاً مع النساء.

- عبيد الله يجهزهم ويحملهم إلى يزيد مع مُحَفَّر بن ثعلبة،
ومع شمر ابن ذي الجوشن.

- لما انتهى الجمع إلى باب يزيد:

- مخفر يرفع صوته ويقول: هذا مخفر بن ثعلبة إلى أمير
المؤمنين باللائم الفجرة.

- يزيد يجيبه: ما ولدت أمك شراً وألأم منك.

- ولما هنؤوه، قال رجل من الذين كانوا بحضرته، وكان

ينظر إلى وصيفة من بناتهم:

يا أمير المؤمنين، هب لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له، إلا أن يخرج من دين الله.

- الرجل يعيد طلبه.

- يزيد يقول للرجل: كف عن هذا.

منظر:

- يزيد بن معاوية يدعو أشرف الشام فيجلسهم حوله،

ثم يدعو علي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه،

فيدخلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعلي:

يا علي أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت.

- علي يقول: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾.

- يزيد يطلب من ابنه خالد أن يرد عليه.

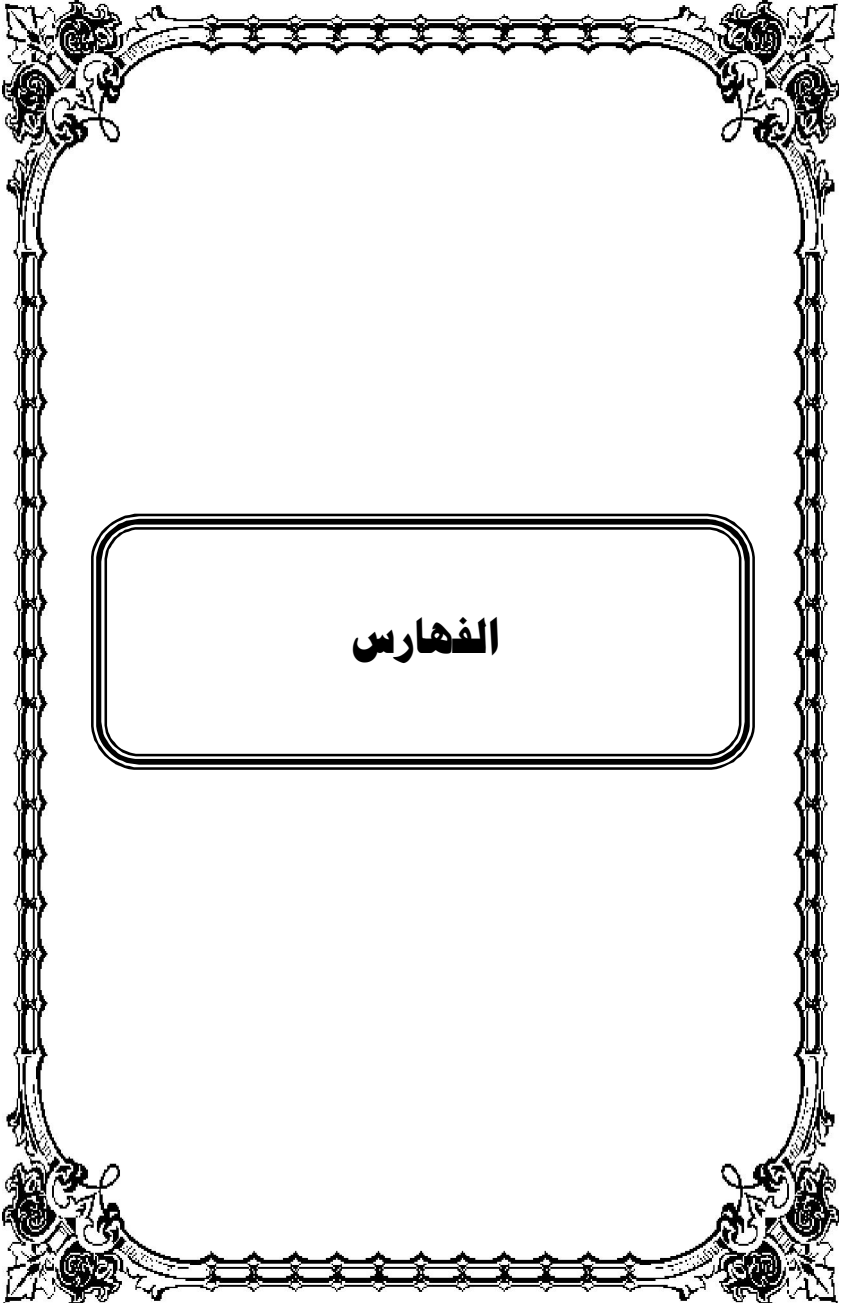
- خالد لا يدري ما يرد عليه.
- يزيد يقول له قل: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾.
- يزيد يدعو النساء والصبيان ويجلسهم بين يديه، ولما رآهم بهيئة قبيحة، قال: قبح الله ابن مرجانة (عبيد الله بن زياد) لو كانت بينكم وبينه رحم أو قرابة ما فعل بكم هكذا.
- فاطمة بنت علي تقول:
- لما جلسنا بين يدي يزيد بن معاوية، رق لنا وأمر لنا بشيء وألطفنا.
- رجل من أهل الشام يقوم إلى يزيد ويقول:
- يا أمير المؤمنين هب لي هذه ويشير إلى فاطمة بنت علي وكانت جارية وضيئة.
- فاطمة أرعدت وخافت ظناً منها أن ذلك جائز لهم

فأخذت بثياب أختها زينب وكانت أكبر منها وأرجح عقلاً.

- زينب تقول: كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك وله.
- يزيد يغضب ويقول لها:
- كذبتِ والله لو شئتُ أن أفعله لفعلت.
- زينب تقول: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بدين غير ديننا.
- يزيد يغضب ويستطار فيقول: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبو وأخوك.
- زينب ترد عليه: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجددي هديت أنت وأبوك وجدك.
- يزيد يخاطبها: كذبت يا عدوة الله.
- زينب: أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهّر بسلطان.
- زينب تقول: فوالله لكأنه استحى فسكت.

- الشامي يعيد: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية.
- يزيد: اغرب وهب الله لك حقفاً قاضياً.
- يزيد يعد الرجل الشامي سبب المشادة بينه وبين زينب.
- يزيد يأمر النعمان بن بشير ويقول له: جهزهم بما يصلحهم وابعث فيهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معه خيلاً وأعواناً. فيسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهن ما يصلحهم وأخوهن معهن، علي بن الحسين في الدار التي هن فيها.
- النساء يخرجن ويدخلن دار يزيد، فتستقبلهن نساء آل معاوية يبيكين معهن وينحن وأقمن المناحة ثلاثة أيام.
- يزيد لا يتغدى ولا يتعشى إلى أن دعا علي بن الحسين إليه.

- يزيد يدعو علياً بن الحسين ذات يوم ودعا عمر بن الحسين وهو غلام صغير، وقال لعمر: أتقاتل هذا الفتى؟ (يعني خالداً ابنه).
- عمرو يجيبه قائلاً: لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً ثم أقاتله!!
- يزيد يأخذه ويضمه إليه يقول: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا حية.



الفهارس

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٢١	مقدمة
٢١	سعيد ابن العاص يتولى الكوفة
٣٧	خليفة منظر سعيد بن العاص
٤١	خليفة سعيد بن العاص
٥٧	مقارنة بين علي ومعاوية
٦١	نذر الحرب
٩١	من صور القسوة: حجر بن عدي الكندي
٩٩	الحسين ﷺ والخلافة
١١٩	زهد الحسين في الإمارة
١٢٢	مكانة الحسين بين أهل مكة
١٢٥	تعنت يزيد في موقفه من الحسين ﷺ

١٢٨	موقف الحسين ﷺ من أحداث مكة
١٣١	الحسين ﷺ في مفترق الطرق
١٣٧	استطلاع الحسين ﷺ للأحوال في الكوفة
٢٣٧	شجاعة زينب بنت علي
٢٤٣	علي بن الحسين (عليهما السلام)
٢٤٣	عبيد الله بن زياد
٢٤٩	خطبة عبيد الله بن زياد بعد مقتل الحسين ﷺ
٢٥٣	تسريح رأس الحسين ﷺ ورؤوس أصحابه إلى يزيد
٢٦٣	الفهرس